غيمٌ على سرير

مختارات من شعر

عبد الرزاق الربيعي

الكتاب: غيمٌ على سرير
مختارات من شعر عبد الرزاق الربيعي

المؤلف: عماد جبار - أ.د.سعد التميمي

رقم الإيداع: ٣١٧١ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: 978-977-493-880-1
الطبعة: الأولى / ٢٠٢٤

الناشر
شمس للنشر والإعلام
ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)
www.shams-group.net
shams@shams-group.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يُسمح بطبع أو نشر أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هَذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

شمس
للنشر والإعلام

غيمٌ على سرير

مختارات من شعر

عبد الرزاق الربيعي

اختيار
عماد جبار

تحرير وتقديم
أ.د.سعد التميمي

مُقدمة

عماد جبَّار

شاعر وناقد عراقي

كانت هذه المختارات تجربة جديدة بالنسبة إلي عندما طلب مني الشاعر «عبد الرزاق الربيعي» أن أختار من أعماله الشعرية مجموعة من القصائد، فرحت بهذا التكليف، لأن عبد الرزاق الربيعي من جيل أحدث تغييرات في القصيدة العراقية، ومن أهم هذه التغييرات هو توسيع المجال للقصيدة اليومية أن تأخذ حيزها، صُحبة عدنان الصائغ وجواد الحطاب، وآخرين.

لم أكُن قد قرأت مما كتب الربيعي بعد خروجه من العراق في بداية التسعينات إلا القليل، لأنه لم ينشر كُتبه في العراق، وكان مما علق في ذاكرتي هو كتبه الأولى ومنها «حِدادًا على ما تبقى»، وهو نادر النشر على حساباته على وسائل التواصل الاجتماعي، لذلك كانت أكبر حصة مما كان مادة للمختارات هو الأعمال الشعرية الصادرة عن المؤسسة العربية الدراسات والنشر، ودار سطور.

لا أدري لِمَ اختارني الربيعي لمهمة هذه المختارات، وربما كان هذا بسبب ثقته بذائقتي، وكانت شجاعة منه أن يختار شاعرًا من جيل أتى بعد جيله، مختلف في فهمه للشعر.

لا أُخفي القارىء أني وجدت صعوبة في هذه المختارات، وأهمها أن المختارات ستكون من وجهة شاعر صارم في تعامله مع اللغة وإيقاعها وصوتها. الربيعي قليل الاهتمام بالقصيدة بعد خروجها من الفرن، فهو يلقي العبء عنه غير مكترث بها، أما أنا فتظل القصيدة وقتًا أعالج بنيتها وتراكيبها وأصواتها ومواقع كلماتها في الشطر الواحد، أما الربيعي فيلقي قصيدته تاركًا لبراءة كتابتها أن تظل وسمًا واضحًا عليها.

ولا أخفي القارئ أنني أوليتُ اهتمامًا خاصًا لقصائد النثر، لأني كشاعر كرَّس جهده للكتابة ضمن الموزون، أردتُ أن أكون مُنصفًا مع قصيدة النثر لديه ولا أكون منحازًا لقصائده الموزونة. والحق أقول إنني وجدتُ الكثير من الاشتغالات العالية في قصيدة النثر لدى الربيعي.

ما أعجبني في تجربة عبد الرزاق الربيعي هو الرؤى الخاصة به، الرؤى الجديدة على الشعرية العربية، وما أعجبني في شعره هو دواوينه الأولى والأخيرة، و ما أثار اعجابي هو سعيه للتأمل الميتافيزقي في عالمنا وعالم ما بعد الموت، لكن عالم ما بعد الموت لدى الربيعي ليس عالمًا متخيلاً، وهذه سمة ميَّزت اشتغاله الفريد، بل هو تخطاه إلى أن يعيش عالمنا وعالم ما بعد الموت بذات الشدة والمعرفة والصدق، وإن هذه لعمري إحدى أهم إنجازات الربيعي، وإحدى أشد النقاط إضاءة في شعرنا الحديث.

وفي النهاية ربما تكون هذه التجربة، مختارات شاعر صارم، شيئًا يعكس مزاجًا مختلفًا عن مزاج عبد الرزاق الربيعي، فتهيئة مجموعة قصائد من مُنجز غزير، قد يتواءم مع مزاج الإنسان المُعاصر الميَّال إلى الاختزال والسُّرعة.

تقديم

(غيمٌ على سرير)
قراءة وتفاعل بين جيلين

أ.د. سعد التميمي

ناقد وأكاديمي عراقي

مِنْ بين شعراء جيل الثمانينات ينفرد الشاعر «عبد الرزاق الربيعي» باتساع تجربته الشعرية وعُمقها وتنوعها، وهو الحاضر باستمرار في الساحة الشعرية، والقادر على الانتقال من منطقة إلى أخرى، مُجدِّدًا في القصيدة على مستوى اللغة والأسلوب والمعالجة والمفارقة، كاشفًا ما يحمله من عمق معرفي يتجلَّى في تناصاته المتنوعة، ليفاجئ المتلقي، وارتياد مناطق مفاجئة وجديدة...

وهذا ما تعكسه الأعمال الشعرية الصادرة عن المؤسسة العربية للدارسات والنشر ببيروت، ودار سطور عام ٢٢٠١ بثلاثة مجلدات وما يقارب من ١٥٠٠ صفحة، ضمَّت سبعة عشر ديوانًا، عدا المسرحيات، بدءًا بديوان «إلحاقًا بالموت السابق) وانتهاءً بديوان «ليل الأرمل»، وتجربة كبيرة مثل هذه تتطلب هذا الاهتمام من الربيعي العمل على أرشفتها ليكون

قريبًا من المتلقين والباحثين والدارسين، مما جعل شعره موضوعًا لأكثر من خمس عشرة أطروحة دكتوراه ورسالة ماجستير في الجامعات العراقية والعربية عدا البحوث والدراسات والمقالات.

ففي تجربته الشعرية التي امتدت لِمَا يقارب الخمسة عقود شكَّلت محطات بدأت بالثمانينات التي كوته وجيله بنارها فخرج منها بمآسٍ وأحزان ترجمها إلى قصائد عكست حجم التحديات في تلك الأيام، لتبدأ بعد ذلك رحلة الغُربة في المنافي ليغرف من كل منفى معاني ودلالات ازدانت بها قصائده، فهو القادم من صومعة الشعر حاملاً الوطن المثخن بالجراح والألم وصور الخراب والموت التي يختلط فيها الدم بالدموع، ويتعالى فيها صراخ الأرامل والأطفال باحثًا عن الأمل والحب والحياة، لذلك كان في منفاه يستعيد ما حملته الذاكرة من أوجاع الوطن، ويتفاعل مع ما يمر به الوطن عن بعد، فيعيد إنتاج تلك الأحداث بقصائد تلامس الواقع بصدق وفاعلية، فقد استطاع أن يحول المنفى إلى طاقة شعرية غنية وعميقة تستوعب التحولات التي عصفت بالواقع، ليتماهى مع كلكامش الذي انطلق في رحلة البحث عن الحياة، و امرئ القيس الذي شدَّ الرحال لاستعادة المجد، فالربيعي انتقل من بغداد إلى عمَّان ثم صنعاء ثم مسقط، وفي كل محطة ترك له بصمة شعرية متميزة، وخلال هذا الترحال قدَّم عددًا من الأعمال الشعرية والمسرحيات، فضلاً عما قدَّمه في الصحافة من تحقيقات ومتابعات وحوارات ثقافية وأدبية.

وقد أبدع الربيعي في كتابة قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر لِمَا يمتلكه من رؤى خاصة ينطلق فيها من سعة قراءاته وما يملكه من معرفة بالتراث، فضلاً عن ميله إلى التأمل في الواقع والحياة والتطلع للمستقبل وما بعد الحياة فجاءت قصائده عبارة عن قراءة شعرية للواقع تنقل الواقعة والفكرة مشحونة بالعواطف والمشاعر التي يحملها، مما يجعلها أكثر إثارة للمتلقي، مما تجعله يتماهى ويتفاعل مع ما تطرحه القصائد من أفكار وموضوعات التي في الغالب تأتي من خلال مرجعية ثقافية متنوعة في القُرآن والفلسفة والأساطير والتاريخ والشعر. فالشعرية العربية حاضرة في ذاكرة الربيعي دائمًا، وهذا ما تكشفه التناصات التي يلجأ اليها في عتبات دواوينه أو في متون قصائده إنها تعكس قراءة ثرية يعيد إنتاجها في قصائده في أُطر رمزية وأسطورية وفلسفية، كما هو الحال في موضوع الموت ودلالاته المتعددة، فالربيعي يعيش سلسلة من الأحزان التي رافقته منذ بواكير تجربته الشعرية وانعكست في شعره، وهذا ما عبَّر عنه في مقدمة ديوانه «قليلاً من كثير عزة»، إذ يقول:

(علاقتي بالفقد ليست آنيّة، ولا هي بالطارئة، ولا تربطني به صداقة عابرة، بل هي مُتجذّرة، في ذاكرتي تجّذُر الحياة التي خاصمت بعضي وكُلّي، منذ كنتُ أتلمس الخطوات الأولى نحو اكتشاف العالم؛ بدءًا من الوقوف على أطلال الحارات العراقية العتيقة، ونواصي الحنين على قارعات المناطق الشعبيّة، حيث الفقر، والمرض، والأوبئة، ليصبح الفقد عنوانًا مناسبًا لتلك النشأة، وما تلاها من عناوين، بعد

سنوات الحروب التي عبثت بالأرواح، والأجساد، وكُلّ ما بناه الإنسان، وما صاحب تلك السنوات، وما تلاها من خناق، وانتهاكات، وحصار، وفوضى ممنهجة)...

الأمر الذي جعله يصفها بالصداقة العابرة المتجذرة في ذاكرته فلا تكاد تغادره، وهو ما تكشف عنه عنوانات دواوينه الشعرية «إلحاقًا بالموت السابق - حِدادًا على ما تبقى - طيور سبايكر - صعودًا إلى صبر أيوب - جنائز مُعلَّقة - غدًا تخرج الحرب للنُّزهة».

ونظرة متفحصة في شعره نجد أن الألم والحزن والانكسارات التي حملها الشاعر من وطنه لم يغادرها في غُربته، بل تحوَّلت إلى صور شعرية مُعبِّرة في قوالب أسلوبية متعددة، نجح الربيعي في صياغتها من خلال توظيف التناص الذي يُعدّ بنية مؤسسة في شعره على مستوى العتبات التي يقدم فيها دواوينه، فضلاً عن متون القصائد التي يأتي التناص كبنية مؤثرة في معظم القصائد.

وقد توَّزعت مرجعية التناص بين اللاهوتي والأسطوري والشعري، مثل قصائد: «غراب ما/ صعود يحيى عياش/ عبور وادي العق/ باب عشتار/ في الثناء على ضحكتها/ أحفاد قابيل/ صورة تذكارية مع حارس الملكة/ صعودًا إلى صبر أيوب/ طاووس/ خُذ الحكمة من سيدوري...»، وغيرها...

إذ يقول من قصيدة «بماذا يعود الغريب»:

بشيءٍ من الخوفِ والجوعِ ونقصٍ من الثمراتِ؟
بحلمٍ كثيرِ القروحِ؟

بجُرحٍ فسيحٍ؟
بقبضِ غبارٍ
وريحٍ؟
بمْاذا يَعوُدُ الغريبُ لأوروك؟
بكسرةِ موتٍ؟

إذ يُصوِّر حصيلة الغربة من الانكسار والخسارة مستعينًا بما يضيفه النَّص القُرآني من دلالة تُعمِّق من دلالة الفقد، ويتخذ من «أورك» رمزًا للوطن الذي ابتعد عنه، فالتناص بمرجعيات متعددة يعكس قدرة الشاعر في صهر الأثر في متن القصيدة، فالربيعي مثل «كلكامش» يحمل قلبًا قلقًا لا يستريح، وهو يتسابق مع الشعر في مضمار الوجع ويصرُّ أن يكون هو الغالب. وهو جبل يسير متكئًا على عكاز الريح، يتأمل البلاد وهي تتقلَّب كغيمٍ على سرير.

ومما يميِّز شِعره أنه ينفذ إلى الأعماق، إذ تنتاب المتلقي عند تلقيه رعشةً عاطفية، فلُغته لا تقوم على الزخارف اللغوية والصور البلاغية الجامدة، بل لُغة متدفقة ذات دينامية عالية وعاطفة حارة تخلق مساحة للجمال تجذب المتلقي وتجعله أكثر تفاعلاً بما تُقدِّمه القصيدة من أفكار ورؤى وتصورات للواقع.

ورغم انتشار الخراب وشحوب الحياة ودوامة الألم وتغول الحرب؛ نجد الربيعي يبحث عن الأمل والحُب لبعث الحياة في متن القصيدة، فيعلو صوت الحب، ويعود الفرح لتتواصل مسيرة الحياة رغم القبح والقتل والدمار، فالشِّعر عنده في صيرورة دائمة. وهو شاعر خلّاق مبدع يتفاعل في قصائده الألم والحب والقلق والتحدي والضعف والقوة والانكسار

والانبعاث في عطاء دائم، ولا يركن إلى موضوع واحد أو فكرة واحدة بل هو في بحث دائم عمَّا هو جديد في الأفكار والمعالجة، فهو منفتح على الآخر المتمثل بالفكر والفلسفة والأساطير والقرآن، مثلما هو منفتح على الواقع بتفاصيله اليومية، يحوِّل الموقف البسيط إلى لحظة شعرية تخلق الدهشة في المتلقي، فهو يلتقط المشاهد والتفاصيل بدقة ويُعيد صياغتها في القصيدة بمهارة عالية.

إنّه شاعر يمتلك مشروعًا شعريًا ورسالة انسانية وجمالية تُعبِّر عن موقفه من الوجود، إنه شاعر يؤمن بالتجريب والتحديث، لذلك كتب في التفعيلة والنثر وبقي محافظًا على الايقاع بوصفه جوهر الشعر، إذ يسهل عملية الفهم والتفاعل ويساعد على جذب الانتباه والاستمتاع.

والقارئ لقصائد الربيعي يجدها تُمثِّل نسيجًا روحيًا وعاطفيًا يُعبِّر عن تجربة حياتية، فالشعر عنده عملية متكاملة تقوم على الدهشة والجمال، ويهدف فيها إلى إعادة ترتيب الواقع في القصيدة بأهداف إنسانية، مستعينًا بالذاكرة والتخييل لاستشراف المستقبل والتعبير عن موقفه من الحياة والتصدي لأعدائها، والدفاع عن الحُرية والحُب والجمال.

ويمكن أن نلمس عُمق التجربة الشعرية للربيعي من خلال ما تُحدثه قصائده من أثر في نفوس المتلقين، وبقائها في ذاكرتهم، فهو لا يكتب من فراغ، بل يُصوِّر الواقع مُقدِّمًا رؤيته الشعرية فيما يدور من أحداث.

ومما تتميز به التجربة الشعرية للربيعي؛ البُعد المعرفي الذي تتضمنه معظم قصائده، إذ يُعدُّ أحد الأبعاد المهمة في فهم وتحليل القصيدة، حيث يساهم في إثراء المعرفة وزيادة الوعي لدى المتلقي بمختلف المواضيع والقضايا التي يتناولها الربيعي، من خلال التعبير عن الثقافة والتاريخ، و نقل المتلقي إلى عوالم مختلفة لتعزيز الفهم للتراث والثقافة، وقد تحقَّق ذلك من خلال الاستعارات والرموز التي قد تحمل معانيَ معرفية عميقة قصدها الربيعي، مما يُثري تفسير النص ويضيف إليه بُعدًا فلسفيًا وفكريًا، لتُصبح القصيدة وسيلة لتحليل الواقع والمجتمع، وتعكس تحليلات فلسفية واجتماعية تُعبِّر عن تعقيدات المجتمع وتحولاته، وتوجِّه المتلقي للتأمل في عواطفه وأفكاره وتجاربه، ليسهم البُعد المعرفي في توسيع أُفق المتلقي وزيادة وعيه بالمواضيع الفلسفية والاجتماعية والإنسانية، ويُثري تفاعله مع القصيدة وفهمها بشكل أعمق.

ولمَّا كانت التجربة الشعرية بهذه السعة والتنوع والعُمق؛ فإنها تستحق التنويه بها والتصدي لتقديم مختارات منها تُقدَّم للمتلقي في عصر أصبح المتلقي فيه يجنح نحو الإيجاز والاختصار، على أن يكون هذا الاختيار شاملاً.

- **الاختيارات الشعرية بوصفها رؤية خاصة:**

مُنذ القِّدم انتبه العُلماء والنُّقاد والشُّعراء إلى موضوع المُختارات الشعرية، إيمانًا منهم بحاجة الجمهور إلى من يختار له من بين الشعر أجمله وأكثره وقعًا في النفس، وغالبًا ما تستند هذه الاختيارات الشعرية إلى أُسس موضوعاتية

أو نقدية وجمالية أو تاريخية أو اجتماعية، وقد يقوم الشاعر باختيارات من شعره كما فعل «نزار قباني» في (أحلى قصائدي)، أو من شعر غيره كما فعل «أدونيس» مع (السياب والمتنبي)، أو على أساس تاريخي مثل (ديوان الشعر العربي) لـ«أدونيس»، أو على أساس الجنس مثل (أشعار النساء) لـ«المرزباني».

وكُتب الاختيارات معروفة ومألوفة في الآداب العالمية قديمًا وحديثًا، ففي الأدب العربي يُعدُّ كتاب (المُعلقات) من أقدم الاختيارات الشعرية، قام باختيارها «حماد الراوية» وشملت سبع قصائد، ووصلت إلى عشر قصائد، ويتضح أن أُسسًا نقدية كانت وراء اختيار المعلقات التي نالت الإجماع، إذ اشتملت على معانٍ كثيرة ومميزة، وانفردت بمحاسن لم نجدها في غيرها.

وقد كان العصر العباسي خط الشروع في هذا المجال إذ شهد جمع واختيار وتبويب وترتيب وتدوين الشعر العربي في كُتب ومصنفات خاصة، وفي الغالب جاءت المختاراتُ لأغراض الدرس، مثل: المُعلقات وشعر القبائل والطبقات ودواوين الشعراء المُفردة. وقد رافق هذه الاختيارات شروحات للغريب من اللغة، والتعريف بمناسبة القصائد، والتفصيل في موضوعاتها.

وقد شاعت كُتب الاختيارات في المشرق العربي ومغربه، وضمَّت كتب الاختيارات أفضل ما قالته العرب من المعاني الشعرية، وعبَّرت عن ذائقتهم في الاختيار ومذهبهم في الشرح والتبويب التعليل والنقد، فكان لكل شارح طريقته

في الفهم والتعليل والتأويل، التي تنمُّ عن ذائقة وإحساس عميق بالاختيارات، انعكس في أسلوب عرض الأشعار وإقناع الجمهور بقيمتها وجودتها، ولذلك فهذه الاختيارات لا تقل أهمية عن الأشعار نفسها، لما تضمنته من مقدمات نقدية مهمة، كما هو الحال في مقدمة «المرزوقي» التي تحدَّث فيها عن المعايير المطلوبة في الصناعة الشعرية، لتكون عونًا للمتلقين على الفهم والمقارنة والاستمتاع.

وكل هذه الاختيارات لم تأتِ من فراغ، بل كان وراءها دوافع تختلف من شخص لآخر، ويمكن أن نصل إليها من خلال دراسة هذه الاختيارات وبيان المنهج الذي اعتمده صاحبها، فالتفاوت في الأذواق والمؤهلات الثقافية والحساسية الجمالية والمواقف الفكرية والأيديولوجية ورؤية صاحب الاختيار للشعر؛ هي من تطبع كل عمل ينفرد بسماته الخاصة التي تستند إلى رؤية محددة، فـ«أبو تمام» في اختياراته الشعرية في (ديوان الحماسة) يعكس منهجه النقدي وذائقته، إذ يركِّز فيه على البُعد الجمالي في المختارات، وهو ما سار عليه في شعره، إذ صبَّ ذوقه الفني على ما وصل إليه من أشعار العرب، فاختار لكل باب من أبواب الحماسة ما ارتضاه ذوقه. أمَّا «البحتري» في حماسته فإنه يميل إلى الوظيفة الأخلاقية، وهي تختلف عن نهجه الشعري الذي نحى فيه المنحى الجمالي.

إنَّ التوقف عند هذه الاختيارات من شأنه أنْ يكشف لنا عن طبيعة الجهود النقدية التي كانت وراء هذه الاختيارات فالتجميعُ والاختيار لم يكن اعتباطيًا بل عملاً مدروسًا خاضعًا لمقاييسَ فنيّة، فالشخص إنَّما يُعرَفُ باختياره، كما ينص على

ذلك «ابن عبد ربّه». ويبقى الاختيار إمَّا على أساس جودة الشعر دون مراعاة الغرض، أو على أساس الغرض الشعري.

وفي العصر الحديث بقيت الاختيارات الشعرية حاضرة بكثرة وتنوَّعت بحسب طبيعة الاختيارات وسياقها التاريخي وموضوعاتها، إذ كان لكل منها أُسس مُحدَّدة يقوم عليها الاختيار، فمنها ما اختص بالشعر القديم كما هو الحال في (ديوان الشعر القديم) لـ«أدونيس» و(مختارات الجواهري من الشعر في العصرين الجاهلي والإسلامي والأموي). ومنهم من جمع بين القديم والحديث كما فعل «البارودي» في (مختارات البارودي) التي ضمّت اختيارات شعرية من العصر العباسي حتى الحديث. وقد تقتصر على الشعر الحديث كما فعل الشاعر الفلسطيني «راضي صدوق» في (ديوان الشعر العربي في القرن العشرين) الذي استبعد فيه قصيدة النثر، والشاعر البحريني «إبراهيم العريض» في (المختار من الشعر الحديث). وقد تكون الاختيارات من شاعر معين، كما فعل «سمير سرحان» في (المختار من شعر خليل مطران)، واختيارات «أدونيس» (من أشعار أحمد شوقي)، و«يوسف الخال» و«الزهاري» و«بدر شاكر السيَّاب».

ولمَّا كانت صفة التباين في الذائقة والمرجعية الثقافية والاتجاهات الفكرية حاضرة في من يقوم بالاختيارات من جهة، والمتلقين من جهة أخرى، فإن التجاوب معها يبقى نسبيًا، وكذلك التنوع في الاختيارات يبقى مظهرًا طبيعيًا، لاعتماده على قاعدة التفاوت في الأذواق والمؤهلات الثقافية والحساسية الجمالية، والمواقف الفكرية والأيديولوجية،

ورؤية صاحب الاختيار للشعر كفعالية إبداعية لمن يحمل مؤهلات الاختيار، ويتوافر لديه الذوق السليم، والحاسة المدركة. وفي الغالب يكون الاختيار شخصي، وهذا ما صرَّح به «أدونيس» في (ديوان الشعر العربي) الذي ينطلق من تقديره للقيمة الفنية للقصائد ومكانة الشاعر، إذ يؤكد أنه نظر للشعر العربي من زاوية القيمة الفنية التي تتجاوز الزمان والمكان والاعتبارات الاجتماعية، دون إهمال دورها، وهو الأمر الذي يجعلنا ننظر للشاعر من خلال همومه وأفراحه وأحزانه، وفي هذا المنظور يتطلب أن تتوافر في الشاعر الذي يمكن أن يقع على شعره الاختيار أن يكون صوته الشعري متميزًا.

وفي مراجعة لكُتب الاختيارات على مَرِّ العصور نجدها لا تخرج عن إطار موقف شخصي للمتصدين لهذه الاختيارات في ظل ما يمتلكه من ذائقة ومعرفة بأسرار الصناعة الشعرية وحساسية اتجاه البُعد الجمالي للنص، والانتصار للأفكار الحيوية والمعالجات المميزة، فالذي يُحدّد اختيار هذا الشاعر أو ذاك، وهذه القصيدة أو تلك؛ هو من ينهض بالاختيار، وبحسب منطلقه في الاختيار، سواء أكان جماليًا أم موضوعيًا أو موقفًا سياسيًا أم فكريًا أم فلسفيًا... على أن الموقف الفني من الشعر وأساليبه له الدور الأكبر في الاختيار.

- **(غيمٌ فوق سرير) اختيارات بين رؤيتين:**

في عام ٢٠٢٢ وعلى هامش مهرجان «شاعر شباب العرب» جمعتني جلسة بالشاعرين «عبد الرزاق الربيعي» و«عماد جبَّار»، ودار بيننا حوار تداولنا فيه راهنية الشعر وما طرأ على القصيدة من تحولات في أشكالها الثلاثة، وكيف يمكن أن تكون القصيدة أكثر احتكاكًا بالواقع لتكون أكثر تعبيرًا عن تحديات العصر، وقد ناقشنا القراءات العميقة التي كان يقدِّمها الشاعر عماد جبار لتجارب بعض الشعراء من خلال صفحته على الفيس بوك، وفي إطار هذا الحديث انبثقت فكرة تقديم مختارات من شعر عبد الرزاق الربيعي، على أن يقوم الشاعر عماد جبار بهذه المختارات، بحسب رغبة الربيعي. وقد عبَّر الشاعر عماد جبار عن ترحيبه وسروره، لاسيما أن القارئ في ظل هذا العصر الذي يتسم بالسرعة ويميل إلى الاختصار والايجاز، لذا ستكون فائدتها جلية بوصفها تجربة تكشف عن رؤية شاعر تسعيني كتب الأشكال الشعرية الثلاثة لكنه استقر على قصيدة التفعيلة بعد قناعة راسخة بأن الايقاع جوهر الشعر وأهم عناصره.

ويأتي التصدي لهذه المختارات لأهمية التجربة الشعرية للربيعي واتساعها وحضورها المستمر على الساحة الشعرية، لذا بات من الضروري أن تُقدَّم مختارات من هذه التجربة للجمهور. وقد تمَّ الاتفاق على أن أقوم بالتقديم لهذه المختارات. وبالفعل شرع الشاعر عماد جبار بالقراءة الفاحصة والدقيقة للأعمال الشعرية الصادرة عام ٢٠٢١،

التي ضمَّت سبعة عشر ديوانًا، وما يقارب من ٥٤٠ قصيدة، وهي تجربة صعبة، لأن الربيعي عُرِف بغزارة نتاجه الشعري واستمرارية الكتابة، وهذا ما جعل الشاعر عماد جبَّار يُضيف إلى مختاراته تسع قصائد جديدة من خارج الأعمال الشعرية محط الاختيار، لتكون حصيلة فرز القصائد اختيار ٧٨ قصيدة دون أي ملاحظات، و ١٨٤ قصيدة كان لعماد عليها بعض الملاحظات فاستبعدها، مع ما يُقارب ٢٨٠ قصيدة أخرى لم يؤشِّر عليها أية ملاحظة.

وقد توزَّعت النصوص المختارة بين التفعيلة والنثر، وتركَّزت معظم الاختيارات في ثلاثة دواوين محط إعجاب وقناعة الشاعر عماد جبار، وهي: (قميص مترع بالغيوم)، إذ اختار منه ١٥ قصيدة من بين ٢٥ قصيدة تضمنها هذا الديوان، ثم ديوان (ليل الأرمل) الذي اختار منه ٩ قصائد من بين ٢٥ قصيدة تضمنها الديوان، ثم ديوان (قليلاً من كثير عزة) الذي اختار منه ١١ قصيدة من بين ٣٨ قصيدة. وتوزَّعت بقية الاختيارات على بقية الدواوين، عدا الدواوين (جنائز معلقة) و(شياطين طفل الستين) و(نهارات بلا تجاعيد) و(خذ الحكمة من سيدوري) التي لم يخترمنها أي قصيدة.

وقد اختار الشاعر عماد جبار عنوانًا للمختارات وهو (غيم على سرير) الذي يتشكَّل من مفردتين طالما وظَّفهما الشاعر في متون قصائده للتعبيرعن الوحدة ورحلة البحث عن الأمل، وقد حملت إحدى القصائد عنوان(غيمة) يقول فيها:

ابعدي عن طيفِك العاوي
كتابَ الطفلِ

فالأحزانُ مازالتْ على أوّلها
والموتُ مازالَ
على أوّلهِ
والحلمةُ الحمراءُ ما زالت
على خضرتِها
والطفلُ
مازال
على الغيمةِ يحبو

فالعنوان الذي اختاره عماد يتسم بدلالته الشعرية، ويرمز إلى حال الربيعي في رحلة البحث عن الغائب في عالم القصيدة.

وبمراجعة الملاحظات التي خطَّها الشاعر عماد جبار على متون من الأعمال الشعرية التي وثَّقت هذه التجربة، يُلاحَظ أن الاختيارات للقصائد جاءت بناءً على ذائقته الخاصة ورؤيته للشعر وجوهر القصيدة، وهي رؤية محافظة يؤكِّد فيها أن الوزن من ضرورات الشعر، لكنه لم يفعل كما فعل «راضي صدوق» في اختياراته التي استبعد عنها قصائد النثر بل كان من بين المختارات قصائد نثر وجد فيها روح الشعر وجوهره، واستطاع فيه الربيعي أن يُحدث نقلة في مسيرته الشعرية، ومما يمكن أن نستشفه من طبيعة هذه المختارات ومن الملاحظات المُدونة على القصائد التي نالت إعجابه إلا إنه لم يضمها للمختارات لأسباب صرَّح عنها تتمثل باستعمال بعض المفردات التي يرى أنها لم تعد تلائم العصر، أو تخلو من الطاقة الشعرية، فضلاً عن تكرار الأفكار والتراكيب والصور

والاعتماد المبالغ فيه للقافية. ففي قصيدة (وحشة) التي يقول فيها:

هذا الشتاءُ موحِشٌ
فَدَفِئِي قلبي الوحيدَ
بالبروقِ
دثّريهِ
بالغناءْ
واقْتَرِبِي

إذ يقترح الشاعر عماد استبدال (دثريه) بـ(عليه) بحسب رؤيته، وأظنه قد ربطها بما بعدها (الغناء)، لكن الربيعي جاء بها لتنسجم مع مطلع القصيدة إذ تنسجم مع (الشتاء، دفئيه)، لكن تبقى لعماد وجهة نظر بوصفه شاعرًا يتحرَّك بحساسية شعرية عالية.

أمَّا على مستوى الأفكار فإنه قد يُدهش ببعض النصوص ويعبِّر بصراحة عن هذه الدهشة بصراحة، لكنه يأخذ عليها غُموض الفكرة بحسب وجهة نظره وذائقته، رغم أن الغموض مطلوب في الشعر... ففي فقصيدة (عين العصفور) التي يقول فيها الربيعي:

برشاقةِ طيفٍ
وبخفّةِ عاشقةٍ
ترسمُ فوق ذراعيها
جنحَ فراشة
أطوي
ظلّي الممدودَ

على طرقاتِ الليلِ
وحين يراني الحارسُ
ممهورا بالجرم المشهود
أدحرجُه
وأغطّي
بلحافِ النور
عينَ العصفور

يصف عماد هذا بالنص النادر ونهايته بالمدهشة، لكنه يُعلِّل عدم ضمها لمختاراته بما فيها من أشياء غامضة تحتاج إلى معالجة لتتضح الفكرة. ويتكررَّ هذا الأمر في قصائد أخرى مثل (نقوش على محراب الحكمة، هدووووووء، ظلمات، بقعة بحر، ثياب، تيه، موسم الحب، لعبة، الشوارع، مقعد لشخص خامس) إذ يرى أن الدلالة يجب أن تكون غير منغلفة ليتسنى للمتلقي التفاعل مع القصيدة.

وقد يكون السبب في استبعاد بعض النصوص من الاختيارات رغم إعجابه بها بحسب رأيه: المبالغة في التقفية، كما في قصيدة (احتجاج) التي يقول فيها:

نحتاجُ نجمتينِ
فالقمرُ الوحيدُ
في سمائنا العتيقةِ العينينِ
لم يعدْ يكفي
لكي
نقرأَ ما سطّره الغرامُ

من كلام
في طلاسمِ الأشواقِ
في تشابكِ الكفّين

إذ يرى أن فكرة القصيدة مدهشة، إلا أن التقفية أثقلتها.

وتتكرَّر هذه الملاحظة في قصائد أخرى أيضًا استبعدها من الاختيارات، مثل: (خفف الوطء، مقعد لشخص خامس) وغيرهما، إذ يرى أن التقفية في النثر غير ضرورية.

ومن خلال هذه الاختيارات يستطيع القارئ أن يكتشف اختلاف رؤية شاعر عن آخر، على أن الجمال الشعري يبقى القاسم المشترك في تلك المختارات بحيث يكون قريبًا من النفس، وألصق بالمشاعر الإنسانية.

وقد ضمَّت المختارات موضوعات مختلفة، كالحرب والسلام والوطن والوجود، ويمكن أن تعد هذه المختارات صورة واضحة عن شخصية الشاعر عماد جبار بأبعادها وتجلياتها، وتعبِّر عن وجدانه وعلاقاته الإنسانية، وتدل على حساسية عالية اتجاه الشعر، وذائقة مرهفة، ورؤية نقدية، فالاختيار عمل نقدي يستند إلى منهج معين، وهذا ما رأينا في مختارات الشاعر عماد من شعر الربيعي. والشاعر عماد جبَّار يميل إلى ضرورة أن يعيد الشاعر مراجعة قصيدته قبل أن يطلقها للمتلقي، أي أنه من أنصار الصنعة، والقارئ يمكن أن يعرفه من المختارات، فهي دَليل على ذائقته ومعرفته ورؤيته لجوهر الشعر وصناعته.

وقد وُفِّق الشاعر عماد فيما كان ينشدهَ في اختياراته.

مختارات من شعر
عبد الرزَّاق الربيعي

المشهد الأخير

(إلى أخي مُحمَّد... في مشهده الأخير)

في راحة «الأمير»
يبسط الطائر جنحيه
على الرمال
حيث المشهد الأخير

الملاك جاهز
و(كادر) السماء
جاهز
العرش والضياء

(لقطة رأسية)
تنزل
من أعلى تسابيح العصافير
إلى النجم
الذي ارتقى
من هذر التراب

والعذاب
للعلياء

لذاك
أوثقوا يديه بالزهور
والطيور
لا طيور (هيتشكوك)
إنما من فضّة الدعاء

حيث ماء الورد
والبخور
والوداع
والرجاء
والشجون
حيث الشهد
والأقمار
في العيون

(لقطةٌ قريبةٌ)
من وجهه البشوش، والجميل
تدنو العدسات

تدنو الشمس
والعتبات

البياضُ في الثياب
ناصعٌ
وناصعٌ فؤادهُ الكليل

العدساتُ دارت
دارت السنون
والأورام
دارتِ الطفولةُ
البيوت، والمدرسة القديمة
الشوارع الطويلة
البنات، والبنون
حتى الفلك الدوار
دار
دارت الدروبُ
والقلوبُ
(موسيقى)

هدوءًا
جاهزون للتصوير
لحظتان
ثم تطلق الحمائمُ الهديلَ
لحظةً واحدةْ

في «كادر» الصورة
تبدو اليوم أبهى
يا أخاه
أيُّها المهاجرُ الطويل

مخرجُ الملهاةِ أعطى
شارة التصوير
(لقطةٌ قريبة)
من ساحل الجنة
والحضن الذي تحب
من سنين
(لقطة...)
والكاميرات
دارتْ
«دارت الايام»

(من أقصى اليسار لليمين)

هيَّا
ابدأ الصلاةَ
أنت اليومَ
نجمُ المشهدِ الأخيرْ.

على حائط «يوليوس قيصر»

(ومن الصداقةِ ما يضرُّ ويؤلمُ)

المُتنبّي

طعنةٌ نجلاء
في القلبِ
وبرقٌ خلّبُ
أصدقائي
خارجَ التقويمِ
لمَّا طُلبُوا
زرعوا الخنجرَ
في الوردةِ
ثمّ انسحبوا
واحدٌ غيَّبَه الموتُ
ومَن جفَّ بِفِيهِ الصوتُ
منهم
من مضى نحو بلادٍ
خارجَ الوقتِ

ومن صَعَّرَ خديهِ
من أخفى يديهِ
حينما جَرْجَرَنِي الموجُ
وخلفَ الليلِ
منّي احتجبوا
أصدقائي
حينما داهمَنِي الطوفانُ
صاحُوا اليوم « لا عاصمَ إلّا...»
وبإغماضه روحٍ هربوا
أصدقائي
من دَمِي المُلقى على الأيّامِ
ماذا كسبوا؟
بعضُهم ظلَّ على العهدِ
ومن لابدَ..
منهم
عادَ من غيبتهِ الصُّغرَى
ومن خيبتي الكُبرى
ومنهم..
من بقايا كأسِ أيامي
لم ينسكبوا

أصدقائي
مطرٌ في معطفِ النسيانِ
بيتٌ خربُ
بحرُ أوجاع
وسِرٌّ ذائعٌ
في الريحِ
غيظٌ
ودمٌ من قاع قلبي يثغبُ
أصدقائي
رُغْمَ
ما قالوا..
وما في صحفِ الخيبةِ
ما قدْ كتبوا
أصدقائي أصدقاء
وهوى لا ينضبُ.

جَمَلُ الثَّلْجِ

هل سقطَ «باءُ» الجَبلِ سهوًا؟
أم هي عينُ الشَّاعرِ
التي لم ترَ فرقًا بين «ميمِ» الجملِ
و«البَاءِ»
وهي تحدِّقُ في
الجَملِ الوحيدِ
الجَملِ البعيدِ
المستوحشِ
بلا سفينةٍ ولا صحراءَ
أتراه وهو يصدُّ هجماتِ العواصفِ الثلجيةِ
بوجهِهِ يتذكرُ «الشرقيةَ»
و«سوقَ فَنْجَا»
عندما مَسَّدتْ على رقبتِهِ
يدُ سائحةٍ أجنبيةٍ
أرادتْ أنْ تُعانقَ به شمس الشرقِ
واستدارَتْ نحو يد البائعِ العجوزِ
الذي قبضَ ثمن رأسِهِ

مُرفقًا بصورةٍ تذكاريةٍ؟
هل يتذكّرُ رحلتَه في الحقيبةِ
بلا أغاني الحداةِ
ولا الرِّمالِ السافياتِ؟
ربَّما غابَ عن بالهِ هذا
لكنّه لا ينسى كلمةً قالها جَدُّه
قبلَ أنْ يُسلِمَ جسدَه للرياحِ:
بلا صحراءَ لا معنى لجملٍ
بلا صحراءَ.

•••

ستصبحُ يا صغيري
مجرّدَ تحفةٍ في سوقِ «الأنتيكاتِ»
لكنّه اليومَ لمْ يعدْ كما كانَ
وإذ يقفُ بلا خيمةٍ
وراءَ الواجهةِ الزجاجيّةِ المغطّاةِ بالثلجِ
لم يتأفّفْ
ولم يُراجعْ حِسَابَاتِهِ
بلْ ظلّ رافعًا جبينَه
وسطَ العواصفِ

لأنّه جملٌ
وستظلُّ الصحراءُ
تصهلُ في روحِهِ المُعذَّبةِ
وسْطَ البياضِ.

اِبتهالات

أطلَّتْ على الأرضِ زينبْ
ككوكبْ
يقيلُ الجراحَ
ويشفي
ولمَّا أضاء
تجلَّت
وجالتْ بطيفي
فغابتْ كثيرًا
وعادتْ أخيرًا
لترمي السماء بكفّي.

أطلّتْ
على الأرض زينب
ومن ينتعل
في الأعالي
خُفَّ الغمام
فلا بُدَّ يتعبْ

ولكنَّ زينب
لم تنكسر...
لم تقلْ للبلاد الذبيحة أُفِ
ومثل خيوط من الضوء سالتْ
خلال شقوق السحاب بلُطفِ
وغابتْ بحرفي.

•••

لزينبَ عينانِ لامعتانِ
وما بينَ عُشبِهما
يستديرُ سنا نقطةٍ
خَطَّها الله
في دفترِ الطينِ
قبلَ الوجودِ
بحبرِ البهاءْ

لزينبَ عينانِ
ترشّانِ
أرواحَنَا بالضِّياءْ

•••

لزينبَ قلبٌ يمدُّ الصباحَ
بما يَتَيَسّر من وهجٍ، ونقاءْ
وكفَّانِ ضارعتانِ
مملوءتانِ
بفيضِ الدعاءْ

لزينبَ حين تقومُ
إلى النَّومِ
صفوُ صلاةٍ
وسحرُ مساءْ
وحين يداهمُها الحلمُ
يزهرُ في صدرِ زينبَ
وردُ الغناءْ

لزينبَ بيتٌ
به تستريحُ الشموسُ
لزينبَ وجهُ البياضِ
وعطرُ الرياضِ
وحزنُ ثرى كربلاءْ.

•••

السلامُ عليكِ
أيّتها الجهةُ الخامسةُ
السلامُ عليكِ
أيّتها الوردةُ الهامسةُ

السلامُ عليكِ
يومَ أضأتِ
ويومَ مضيتِ مع الوقتِ
في لجّةِ اللا مكانْ
ويومَ ملأتِ سِلالَ الضياء
وطِرتِ مع الفجرِ
نحوَ مراقِي الجِنانْ

السلامُ على الشمسِ
وهي تمرُّ
مُرورَ المشوقِ
على شفتيكِ
السلامُ عليكِ

•••

أطلَّت على الأرضِ زينبْ
ككوكبْ
تمشَّت
وألقتْ رسائلَ أشواقِها
في مياهِ النهارِ
مدَّتْ أصابعَها
في الهواءْ
فصفَّقتْ الريحُ
صفَّقتْ الروحُ
صفَّقتْ الطيرُ
صفّقتْ السوسنةُ
مرَّت على جسرِ
قلبيَ
والأزمنة
ومشتْ
فوق سقفِ المدينةِ
فاهتزّتْ الكلماتُ
مالتْ مع المئذنة
واستفاقَ من النومِ
لونُ السماءْ

استفاقَ الفؤادُ
من خدرِ النبضِ
ضجَّ المدى
هاتفًا في أذانِ المكان
فجاستْ
بأطرافِ أحلامِها
الكون
كان الخراب على الضفتينِ
يوزِّع أسماءَه
ويصولُ
فحنَّى الدخان يدَيها
إذ الحربُ
تلقي على أعينِ الشهداءِ
معاطفَ أوزارِها
في العراءِ
فكانتْ لها
وبِهَا
فمضتْ..
لترمّم جرحًا
حديثَ الولادة

ثمّ تُحَرّرُ للموتِ
صكَّ الشهادة.

•••

أطلَّتْ
تمشَّت كثيرًا على الجمرِ
جالتْ طويلا
وظلَّتْ توزِّع ما يتفتّت
من ورقِ الحزنِ
على الفقراءِ
تمشي
إلى الغيبِ
من... لامكانْ
فكانتْ...
وكانْ.

صكوك السامري

حين رأيناه
بثُقب الظلمةِ
نسيًّا منسيّا
ينقش في صمت الوادي
اسم النور مليّا
سبَّحنا باسمهِ
في الملكوتِ
أقمنا له بيتًا
في الأرواح عليّا
أدنينا له
سقفَ النجمِ
وقرَّبناه نجيّا
فمضى
محفوفًا
بدعاءِ الأرضِ
ليعبر وادي الصخرِ
وكان العصفُ عتيّا

ومضينا خلفه
ثم بلغنا سدًّا
بين الأجبال قويّا
قال: القوا
ألقينا
ما في زوّادتنا
من وجدٍ كان جليّا
ومضى...
يطوي
طرقات المعمورةِ طيّا
بحثًا عن نورٍ
يمشي به
بين الناسِ
يوزِّع
ما طابَ
من الأقمارِ سخيّا.

•••

لمَّا حلّ مكانًا
في العلياءِ سميّا
ما عاد كما كان جميلاً

ونبيلا
ونقيّا
وكذلك زين ما فعلوا غيّا
فإذا بهِ
يضربُ وجهَ الغيم
ويكسرُ قبّةَ بيت النجم
وما خطبك؟
– أبصرتُ
حِبالاً تتدلّى
في الريحِ
تفتِّشُ عن أعناقٍ
صالحةٍ للحذفِ
وما بيمينك؟
– تلك عصاي
أهشَّ بها غنمَ الكلماتِ
ولي فيها
خلف الطوفانِ
مآرب أخرى
تفتح للريح ببابي سرًّا
لأعود فتيّا

لكنّ عصاك
ستصبح إعصارًا
جبَّارًا وعصيّا
سيعيدك
للخطواتِ الأولى
مكسورًا
وشقيّا
وكأنّك لم تترك واديك
ولم تكُ شيّا.

لَيْلَةُ سَنَةِ القِردِ

في ليلةِ سنةِ القردِ
لن أسرجَ الشموعَ
ليهتدي الضّالونَ
ويبتسمَ اليتامى
وتتوقفَ الأراملُ
عن تذكُّرِ
ما قبلَ البلادِ
والعبادِ...
ولنْ أملأ الكؤوسَ بالأحلامِ
والآثامِ
لنْ أفتحَ بابي
لأيّ طارقٍ
حتى لو كانَ أنا
أو أنثى فاتنةٍ
خبّأها «بابا نويل»
لمساءاتي
في جولتهِ الأخيرةِ

تحتَ شجرةٍ مهترئةٍ
لن أفعلَ شيئًا
من هذا كلّهِ
بل أدخلُ غرفتي الباردةَ
أنصبُ شَبَاكي لي
وبلحظةٍ طائشةٍ
أرمي «عبدالرزاق الربيعي»
بكلّ خيباتهِ التاريخيةِ
على السريرِ.

تباريحُ ليلِ الوحيد

١- وسادة

تنامُ القطاةُ
على راحتيها
فينبثقُ النهرُ
من مفرق القلبِ
يعلو الضياءُ ويهبطُ
عند انحناءة أحلام (نور) الصغيرة
(نور) الأميرة
(نور) الحبيبة
وهي تقوم
لتحتضن الشمس
قبل طلوع الصباحاتِ
تشربُ من كفّها الصلوات
وتدعو الرياح
لتمتصّ من ناهديها
الحياة

تنام القطاة
لتصحو على كلّ ما ينعشُ القلبَ
من كلمات
ويعلو صدى الأمنيات
وحين تخبئ ما فاض
عن حاجةِ النجمةِ المستحمّةِ
في صدرها من بياضٍ
تحطّ يديها على مركز الضوءِ
والشهواتِ
يتيه المتيّمُ في الفلوات

تنامُ القطاة
على كفّ ما يتناثر من ليلها
فتغيبُ الجهات

٢- وحشة

لم يبقَ بصحراء الليل هنا منك
سواي
لي لم يبق بها

بعد ذبول ضيائك إلّاي
لم يبق سوى
نفسي الأمَّارة بك
ودموع يابسة
في كأس أساي
لم يبق سوى همس
ظل بذاكرة الأمس
وأشلاء بقاياي

٣- تطيّر

ماذا ستأخذُ يا غرابْ؟
وكلّ أشرعتي هوتْ
واستسلمتْ
لجيوشِ طاعونِ الخرابْ؟

ماذا ستأخذ يا غرابْ؟
وقد أخذت مني
ما أخذتَ
فرشتَ لؤمك

وانسللتَ
بها
إلى الأفق البعيد
وطرتَ..
سِرًّا
تاركًا
قلبي وحيدا
في زوايا الليل
يبحثُ عن
أصابعها التي
غاصتْ بحضن الغيبِ
في ظلماتِ
أوديةِ اليبابْ

ماذا ستأخذُ يا غراب؟
ودونما خجلٍ
رميتَ سوادَ ريشك
في دمي
حين ارتشفتَ ضياءها
ونشرتَ عينيها
على حبل السراب.

ماذا ستأخذ بعد منّي...
والتي قيَّدتها
بمحبتي
قد أصبحتْ
قيد الغيابْ؟

.

هـزيـعٌ أخيـر

إذا سمعتَ طرقات شديدة
ورأيتَ السماء تطلُّ من نافذةِ حجرتك
وفتحتَ الجدارَ الفاصلَ بينك وبينك
ستجدُ نفسك وجهًا لوجه
مع هزيعك الأخيرِ
وهو يتلألأ في مرايا الأبدية
فلا ترتبك أبدًا
وكأنّ حدثًا جللاً لم يحدث
خارج حدود لحظتك
خُذ الأمرَ على عواهنهِ
ولا تبيّن لك امتعاضَك
من هذه الفضاضةِ
كونك لم تتّصلْ بكَ
قبل قدومك إليكَ
ولم تحدِّد معك موعدًا مسبقا
وإذا ما جلستَ
اسقِ فمك من خير ما في ثلاجتك

من دماء طازجة
لتهدأ مباضعك
و تؤدي عملها بإتقان
لا تسلْ نفسك عن الحال
لأنها لا تحبُّ الثرثرةَمع الزبائنِ العابرين
وقبل مغادرتِك ميدان حجرتك
لا تطلبْ منك التقاطَ صورةٍ تذكارية
لأنّها سوف لن تجدَ من ينشرها
بعد أن تنهي مهمتك
وتغسل يديك من دمِك
وذكرياتك
وصرخاتك
ثم تغلقُ البابَ عليك
وتمضي.

طائرانِ في خلوة

حين يُداهمني الغيابُ
بغتة
أتوسَّدُ حضورَك الكثيفَ
في قلبِ الذاكرة

أتوسّد خدّك
وأغنياتك
وأحلامَك الناعمةَ

أتوسّدُ رموش عينيك
اللّتين استقيت منهما حبري
وحزني الأزلي
أتوسّد شفتيك الذائبتين بروحي
لتتحمص كلماتي
وتنضج آهاتي
ويخضرّ أنيني
وحين أغادرُ هذه الرحمة
أتوسَّد ليلك الطويل

وهو يضعُ رأسه
على دكة الأمس الذي عبرناه
هناك...

أتوسّدُ الدروب التي مشيناها
قبل الغياب، وبعده
وما بينهما من عواصف

أتوسّد صدرَك الذي ينبض بي
وارتشف ماء الحياة المتدفق
من نهر عذوبتك
فنوصد الباب على العالم
جيّدا
ولن ننتظرَ مركبًا تائهًا
في محيط محدودب الظلمات
يقلّنا إلى الجانب الآخر
من الحُب
بل نفعلُ كلّ هذا الجنون
في عقر جنة نُعلِّق على بابها:
– الطائران في خلوة
يُرجى
عدم الإزعاج.

حمائم

طيورُكِ لم تعدْ هنا
فلا حُبَّ
ولا ريحانَ
ولا كفَّيكِ اللتين تفرشينهما
تحتَ زُغْبِ المناقيرِ
حين تبثُّ شُجُونَها الصباحيّةَ
وهي تداعبُ سقفَ روحِكِ
في الحديقةِ الخلفيّةِ
لكنَّها...
منذُ جفافِ هبوبِك
فظلَّت وحيدةً
تزرعُ الهديلَ
في زوايا النسيانِ
فالحمائمُ لا تجيدُ المساومةَ
على راحتيكِ
وتأبى التقاطَ الحَبِّ
من الأرصفةِ

وشيئًا فشيئًا
لم تعدْ هنا
وهنا عادَ هناكَ
لذاكَ
ذابتْ
مثل كلماتِ العُشَّاقِ
في محيطاتِ الغيابِ.

رِحلة

الرَّاحِلُ في رحلتهِ الأبديةِ راحْ
أَسْدَلَ في الليلِ، ستائرَ عينيه
على وحْشَتهِ
وانطفأَ المصباحْ
الرَّاحِلُ حَطَّ على
رُوْحِهِ رِيْشُ جَنَاح
وَسَاحْ.

قال إمام المسجد:
الرَّاحِلُ في ملكوتِ الأعلى
من رحمتهِ يَمْتاحْ
ولكنّا...
لا نعرفُ أينَ سترسو
بعدَ طوافِ العمرِ مَرَاكِبُنَا!
لا نعرفُ كيفَ سنمضي؟
نتوسّدُ أيَّ بِطَاحْ؟

الرَّاحِلُ راحْ
فمتى
مِنْ هذي الرحلةِ
يا ربِّي
نَرْتاحْ؟

بَجعة

على كرسيّكَ
حطَّتْ بجعةُ
جَنَاحَاها نورٌ وبرقٌ
شعرُها ينبوعٌ ناعمٌ وغزيرٌ
وردةٌ بيضاءُ
مسترخيةٌ
على ظهرِ محيطٍ
ريشٌ ومطرٌ
وألحانٌ تترددُ
في أذنِ الغيبِ

توقفَ العزفُ
طارتِ البجعةُ
فجلسْتُ على كُرسيكَ
البحيرةُ.

طـائـر

على شفةِ الحائط
ضوء الأمس تمدَّد
إذ أسفر
عن أُنثى
أهدتني
طائر طيفٍ أخضر
بعد ليالٍ عادتْ
تسألُني
إن كان
بأعماق رقادي
أزهرْ
قلتُ لها:
- طوّفتُ بأحياء الموتى...
جاوزتُ حدودَ الكلمات
قفزتُ الأسوارَ
عبرتُ الخطّ الأحمرْ
طوّفتُ...

وحينِ تعبتُ
رجعتُ
بخفّي طائرك الأخضرْ.

هــي

نابتةٌ
على جسدِ الكلام
مثل ظلِّها الطازج
تحت شجرة الطفولة
حاضرة في دمي والمكان
حتى أنها
عندما ودَّعتني
ظلَّت تسير معي
حتى هذه اللحظة.

صفحةٌ ضائعةٌ من قاموسِ الموتى

موتُ الجدّ:
إقالةُ عصا بيضاء
انطفاءُ مصباحٍ في مسجد
بطاقةُ تعريفٍ بالغيابِ الأخير
وتلمّس طريق مقبرة
جاثمة في طرف منسي
من العالمِ السُّفلي.

موتُ الأب:
الوقوف وجهًا لوجه
أمام الحُزن
وتبادل السباب
والشتائم
والدخول في حربٍ طاحنةٍ مع شبحٍ ما.

موتُ الأم:
دخولٌ مباشر في تفاصيل العالم الآخر
استنشاق هواءٍ يتسلّل تحت التراب

مصافحةُ قطيع من الدود والزواحف
الرقص مع الملائكة الصالحين
حدَّ الإعياء

موتُ الأخ:
سقوطٌ مدوّ لجدار الطفولة
وفتحُ ثغرةٍ في رحم السكينة

موتُ الابن:
دفنُ قطعة من روح نيئة
في ترابٍ سيغدو
بعد انتهاء المراسم عزيزا

موتُ صديق:
طعنة نجلاء
تشبه جرح
ظهر «القيصر» السرمدي

موتُ حبيبةٍ:
ظلام دامس
وربيعٌ يستقيل
من منصبه

وعطرٌ يُداس بالأحلام

موتُ الزوجة:
وضع سرير النوم
تحت سبعة أشبار
من سطح الحياة

موتُ الجسد:
إغلاق ملف
وفتحُ صفحةٍ
في كتابِ الأبد.

هـاويـة

- خطوةٌ... خطوتانِ
.....
حينها أدركتُ أنّني
أقفُ على حافّة الطفولة
مقيلاً نصفَ الأرض الكسيحَ
دفعةً واحدةً
أقفُ...
لأدفعَ المسافات بصدري
مشدِّدًا قبضتي
على خصرِ العدم
.....
وقفتُ...
فتخلَّى الترابُ عن مصافحتي
وأقفلتْ أُمّي
بوّابةَ الأفقِ
لألاقي مصير أعمدة الضوء
لكنّ الأشجار

لقّنتني حكمةَ المشي
فمشيتُ
شارعًا... شارعينِ
عبرتُ الصراطَ...
تعثّرتُ
بضحكتِها
ناديتُ:
– من أضاع ضحكةَ بنفسجيّةَ؟
فالتفتتِ الوردةُ
وضعتْها على شفتيها
فجلجلتْ...
.....
خطوة... خطوتين
ثمّ ينفتحُ العالمُ
هكذا همستْ
في أذني القريبةِ
من فمِها
خطوة... خطوتان
همستُ في أذنها القريبة
من فمي

خذِ اليسارَ
قالتْ: تقدّمْ
تقدّمتُ
إلى كلّ الجهات
خطوة... خطوتان
تعلّمت كيف أمشي
على أضلاعِ الأيّامِ
بدون حذاء
وتعلّمتُ
كيف تخترقُ الذاكرة
.....
خطوة..خطوتان..صمتٌ
قولي: ثلاثة
لكي أضعَ العالمَ
في حسابي الشخصي
لكي أواصل التنزّهَ حول
حقول قمحك
لكي تكفَ الشمس
عن التيهِ

لكي نحفرَ بأقدامنا
الكُرة الأرضيّة
قولي...
لكي لا تدركني
التباساتُ هاويةِ الغراب.

مُفترَق

عند مفترقِ نهرِ الحياة
وجدتُ امرأةَ
تبيعُ الزهورَ الحجريّةَ
في عربةٍ
آيلةٍ للهواء

سألتها:
بكم تبيعينَ الأملَ؟
أجابتْ:
لعلّك تجدُ
هذه البضاعةَ
في عربةٍ أخرى

أين؟
- تقفُ
عند مفترق نهر الموت

وأشارتْ
إلى قلبي.

إغماضة

أجيبيني بصدقٍ
ما دامَ وطنُ السماءِ زرقتها
لماذا أراها
تجمعُ نجومَها
كلّ ليلة
لتنتحب
فتتساقطُ من وجنتيها
نيازكُ الدموع؟

– لأنّ عينيك مغمضتانِ

لكنّ البحر
مغمض أيضًا؟
أما تعلمينَ
إنّ عينيك
موطنُ الزرقة؟

تجاعيد

على جبينِ الجبل
رأيتُ الزمنَ يزحفُ
كإخطبوطٍ هرمٍ
يلقي سؤالَه
على الغيومِ السودِ
التي سيغطّي وجهها التراب
رأيتُ تجاعيدَ الجبالِ تتجعّد
من حيث أنّ الربيعَ
لهُ أكثر من شاهدة
على هيئةِ زهرةٍ
غارقةٍ في الذبول.

•••

على جبينِ الجبلِ
رأيتُ ضريحَ جبلٍ
يطوي سباته البياض.

قمرٌ يتدحرجُ آخر السنة

حينما ثبَّتَ عينيهِ
بوجهِ الشمعةِ الأخيرة
محُصيًا أنفاسَ الليلة الأخيرةِ
من السنةِ
كانت الفرحةُ ترتعش
وتغرقُ روحي
في مرارةِ نهاياتِ الأشياءِ
لذا وضعتُ عيني بعينِ القمرِ المتدحرجِ
نحو الأُفول
كانت النجيماتُ المائعة تسقطُ
قطرةً
قطرةً
يشدُّ من غيبوبتها خيطُ السواد
وكانت اللحظاتُ تذوب
مثل صوتِ أجراس الكنائسِ البعيدةِ
والخطى التي مضت صوبَ ترابِ المجهول
لتُخلِّف في قلبيَ الصقيعَ
وندوبَ مناقيروحدتي

عندما وجَّهتُ دعوةً لروحي
وجلستُ معي
واضعًا وجهي
بوجهِ الشمعةِ الأخيرةِ
من الليلةِ الأخيرةِ
لأحصي فتوحاتي
كانت الراياتُ ترتفع
فوق كلّ سطر
وكانت جحافلُ نشوتي تتقدّم للأمام
كلّما أهبطُ من سطرٍ
ترتفعُ جبهةُ كتابٍ سطّرتُه
أو مدينة مررتُ بها
أو شفة
مضغتُ أحرفها الأولى
....
كانت باقاتُ الزهورِ تهطلُ
والكلماتُ تميلُ بأعناقِها
مثل شجرةٍ تحتضنُ
جذعَ ريح
وأنفاسي تتصاعدُ

الدروبُ التي قطعتها تحتشدُ
والوجوهُ تبتسمُ
مثلما تقفُ أمام عدسة مصوّر
فيما القلمُ يطوي الدروبَ
طيّ الغيمِ لدفترِ المطر
ووجهي بوجه الشمعةِ الأخيرةِ
في الليلةِ الأخيرة
.....
الموسيقى تتصاعدُ
كغبارِ معركةٍ
ميدانُها سلّم الوقت
والدقائقُ تهرولُ
والفتوحاتُ تمزّق الخرائطَ
.....
قالت الشمعةُ لوجهي:
ربحتَ مدنًا
وصداقات
وكتبًا
وأسماء تخثّرت في دفتر العناوين
ربحتَ سنبلةً في الجيبِ

ودابّة
تدبّ في صحاري اليباس
وحقلاً من الموج
ربحتَ ضوءًا
على جانبِ الطريق
وعافيةً مستديرة
إلى الأسفلِ
وبضع أصدافٍ
وحجارةً لا تبور
ربحتَ قمرًا
للملمّات الحالكةِ
وغيومًا لا تجفُّ
وعينينِ دافئتينِ
وضحكةً معلّقة
على ياقةَ قميص نسمة
ربحتَ ما لا يعدّ من النيازك
وأبراج الحظّ
وتلالَ الدهشةِ
ربحتَ الاسمَ
والحرفَ

والمسافةَ
لترمّم شيئًا من خرابِ المبتدأ
ثمَّ ترشّ جملةَ الغبارِ
بخبرٍ سار
ينسيك
أنّك في غمرةِ الانتشاء
دلقتَ الليلة الأخيرة
بوجهِ الدمعةِ الأخيرة
من السنة.

جهات

حلمنا معا
ضحكنا معا
سكبنا معا
بكؤوس الشذى أدمعا
في الأماسي
التي لملمتْ حزنَنا
من دروبِ الشتات
لتوقدَ في غابةِ الليل آهْ

وحين حزمنا الحقائبَ
ذات صباحٍ جرى مسرعا
كنّا جميعًا معًا
غير أنّ الخطى
بُعثرتْ
ومضتْ
كلّ واحدةٍ باتجاهْ

التفتُّ اليّ
تساءلتُ:
– يا وطنًا غارقًا في أساهْ
لماذا «بعدنا عن النخل»؟
عن كركراتِ الطفولةِ
فوق الجداول
عن شرفةٍ ظلّلتها المياهْ؟
ماذا سيحدثُ
لو أنّنا
ذاتَ حلمٍ
خرجنا على طوطمِ القاعدةْ

ومشينا معًا
إلى جهةٍ واحدةْ؟

زلّـةُ عَـدم

نقفُ على حافّة الحياة
وهي دخانٌ
أو حافّة النهاية
وهي خطوةٌ في فراغٍ بلا سببٍ
وندري
لا فرق
بين الحافّتينِ
إذِ الهاويةُ واحدة.
هاوية أن تحيا
محفوفًا بجحافلِ الألم
وهاوية أن تضع
كلّ أشيائك الجميلة
في قبضةِ العَدَم
حيثُ الضباب
ينسجُ لنا قصّةً أخرى
من سلاسل
وأغلال

وجلودٍ مسلوخة
ودخان أجرد
فنقفُ على جثمانِ ريشةٍ
من جناحِ القلق
غير مستأنسين
بلمعة برقٍ
ولا بيت شعرٍ دافئ
نقفُ على حافّة الكافِ والنون
فنكون
رمادًا
أو نسيًا منسيًّا
لنوقفَ زحفَ الهاوية
وهي تشدّنا إلى صدرِها
كأمٍّ حنونٍ
لذئابٍ ضاريةٍ
نقفُ
حيث لا مفرّ من الوقوفِ
ولا أيّ متسع لسواه

ذلك لأنّنا
نضعُ أقدامَنا
أينما وجّهنا وجوهنا
في فكّ العدم.

بورتريه صباحي للبحر

مهما بكّرتَ للبحر
ستجدُه قد استيقظ قبلك
لكأّنّ البحر لاينام
أمّا سريرهُ الرمليّ المفروش
أمام الأنظار
فهو ليس سوى أرجوحةٍ
حبالُها الأشنات
والتياراتُ الهوائية.

•••

هناك يجدُ الحفاةُ العراةُ متّسعًا
فلا أحد يمسكُ بقميص أحد
ولا يقع خفٌّ على خف.

•••

هناك مغلّفون ومغلّفات
ولحى ممتدّة بكلّ الاتجاهات
وأخرى حليقة

هناك عيون زرق، وسود، وبنفسجية
فالبحر له دساتير، وخرائط، وأعلام
ويؤمن بالتعددية الثقافية.

•••

هناك للمشاة طرق عبّدها لسان الموج
ومنصّات لكلام الماء
وعطايا: أصداف وأحجار وأرواح غيوم.

•••

حين تقبضُ على صَدّفة
فإنّك تملأ راحةَ يدك بمشروعِ ضوءٍ تجمّد
عند قطرةِ رمل
تتراقصُ على أطرافِ حلم بحّار ما
في جزيرةٍ ما.

•••

بماذا توشوشُ الطيورُ بأذن البحر؟
مهما يكن...
لن تقوّض هدأتي وشوشةٌ عابرة
قد تكون بخصوص هوية شاعرٍ

ضلّ الطريقَ
فتبلّلتْ كلماتُه ببحرٍ يقرأُ ويكتب
ويناقشُ الشطآن
لكنّها بالتأكيد لن تكون بصالح سمكة
تجرّب قفزَ الموانع.

•••

حين طبطبتُ على كتفه ابتسم
فالبحر لا يصعّر خدّه للناس
ولايمشي في الأرض مرحا.

•••

سرْ ولاتلتفتْ للظلال
فلا سلامَ ولا كلامَ على البحر
ولا تمدُّ أصابعَك باتجاه أصابعِه
بل اكتفِ بتحيّة خفيفة
ومصافحةٍ بقدمٍ مرصّعةٍ بالرمل.

•••

لا ترسم بورتريه للبحر
فعمّا قليلٍ سيغيّر قميصه ومحلّ سكناه

لكنّه يعود ثانية
ليواصل شغبه
فالبحرُ لاتقرُّ له عينٌ ولا بيت.

صقيعٌ دامِس

أعطني حرارةَ يدك يا صديق
فالدرب مقفل
وأنا موحشٌ
لأكثرمن سببٍ
والقيامة بلا ساحل
من دون سببٍ يُذكر
لذا مياهها المتناحرة
تمسك بخناق
فراشةَ الأيام المختبئة
بين زوايا قبضة النهاية

من ينتشلني يا صديق
من قلبِ هذا الصقيع الدامس
الذي فاضَ بي؟
منذ أن حلّ الظلامُ في جسدِك
وحضرتِ التفاصيلُ
قبل أن تستسلمَ للغرق
في ظلامِ التراب

وتُحمل على خشبةٍ ما
موشحًا بالسكون
الذي يشبه سكون أنكيدو
وسط غابة الأبديّة

اعطني حرارة يدك
اعطنيها
فلم يعد هناك ندُّ
يشدّ عضد كلكامش
يا صديق
لتندبك شوارع الحبّ والموسيقى
التي سلكناها
وسهرنا على ضفافها
لتندبك شطآن جزيرة «مصيرة»
وميناء « مطرح»
وجلال «قلعة الجلالي»
لتندبك الحدائقُ العامّة
وسطحُ المكتب
ومجموعتُك البريديّة
و«الليالي البيض»
في «القاهرةِ» التي لم نزرها معا

حتى هذه اللحظة من سواد الليل
لتندبك المياهُ التي باركتْ ولادتك
في الطريقِ من «مسقط»
إلى النهايةِ
لتندبك رواياتُ «صنع الله ابراهيم»
ومكتبةُ «مدبولي»
ليندبك قطار «الهوتميل»

لتندبك الكائناتُ كلّها يا صديق
أمَّا أنا
فها أجلسُ وحيدًا
ثانيةً
مثل يد مهملة في صحراء
لذا اعطني حرارة يدك
فالرياحُ في الخارج
لاتزال تعوي
والنوافذ قد تنكسر
وغيابك المباغت
كسر زجاجَ
موعدنا القادم.

في سماء المقبرة

في سماءِ المقبرةِ
تنقرُ العصافيرُ
رؤوسَ الأرواح
فيجري ما تبقّى من العظام
خلفها
....
تطيرُ العصافيرُ
نافضةً عن أجنحتها ماعلق من
ترابِ الموت
متمتمةً:
تعملون ضجةً
حتى وأنتم مُصفَّدون
بأغلال الآخرة.

أحلام متلاطمة

حلمتُ
كأنّي
في بحرٍ لجّي
من أحلامٍ متلاطمةٍ
حلمٌ يصفع حلمًا
سقطتْ ورقةٌ
في مفكّرةِ الحلمِ الأوّل
دوّنتُ:
هنا سنرسم معا
دائرةَ حلمِنا الثاني
سنرقصُ بها
نرقصُ...
حتى نرسمَ
بالأقدامِ الملتاعةِ
خطوطَ حلمِنا الثالثِ
عندها
نقتربُ من سطحِ الماء.

مشكاة

نـورٌ
وعيناها معي
وفمي
اجتمعنا في سرير الحلم

كان الليلُ أقصر مايكون
حصانٌ جامحٌ
قربي
شممتُ نورَ الوجه
مشكاة السماءِ
رحتُ أمشّط الشعرَ الذي غطّى
السماءَ

نورٌ
سالَ من بيتِ القصيدةِ
من أصابعِ التاريخِ
لمّا أنجبتْ
في اللّيلِ

مملكةً
وقلبًا نابضًا
بالمنِّ والسلوى
بضحكةِ طفلةٍ
غسلتْ يديها بالضياءِ
وفكّت الأغلالَ
عن روحي
فأسفرت الخرائبُ
عن خرائط جنّة

نورٌ على نورٍ
تنامُ..
هناك هادئةً
بمملكةٍ جديدة
وأنا على قلقٍ
بأطراف السرير
أغيبُ
في بيتِ القصيدة.

أحفاد «قابيل»

جهتهُم الآخرة
وآخرتُهم حزامٌ ناسفٌ
جنّتُهم بساتين دم
وأشجارٌ بلا رؤوس
راياتُهم غربانٌ
وغربانُهم أشباحُ نساء
ونساؤهم أفواهُ مقابر
ومقابرُهم عبواتٌ لاصقة
وجوههُم زبانيةُ الخليفة
وخليفتهم (موتٌ متنقّل)
أفواهُهم محرقةٌ في أصل الجحيم
وجحيمُهم رياحُ السموم
أسنانُهم مشحوذةٌ
للانقضاضِ على الهواء
لمجرّد أنّ سريره أبيض
وكفيه ناصعتان

وجوههم شياطين
ورؤوسُهم المتخمةُ بالظلام
بقعٌ على جبين
طينِ الخليقةِ الأولى
لا يُحبّون الكلامَ
وإن تكلّموا
يلقون نفايات عصماء
في بئرٍ مظلم
سعالُهم يملأ رئات المداخنِ
ثيابُهم لا تغطّي
رصيفًا
قاماتهم شجرٌ من زقّوم
وكلابُهم تنبحُ على الهويّة
ذلك لأنّهم أحفاد «قابيل» و«باندورا»
إذ خرجوا
من رحم صندوقِها
ليملأوا الأرصفة قناصين
ومفخّخات تكفيريّة.

رأسٌ باردٌ على الطريق

(إلى صديقي الإعلامي الذبيح جبار عطية)

على الطريقِ
وجدوه نائمًا
يرى في المنام
طيرًا ذبيحًا
من الوريدِ
إلى مالا نهاية...
إلى نهايةِ الطريق.

•••

بعُنفِ عاشقٍ
يحتضنُ العدم
كما كان يعانقُ عذارى العشبِ
في حدائقِ (أبي نؤاس)
بعد أن يتعتعه الظلامُ
ونحيبُ (هذه ليلتي)
وهواجسُ الطريق.

•••

غير أنّه
كان ذلك الصباح
مستلقيًا
تحت العربات
بلا ربطةِ عنق
بل حتّى بلا عنق
في عنقِ الطريق.

•••

مُمدَّدًا كان
مثل جُملة لا محلّ لها من الإعراب
خارج نطاق الشهيقِ
مكتفيًا مثل أسد بابل الجريح
بقدمينِ مصفّدتينِ
وياقةٍ
مدافةٍ
بدمِ الطريق.

•••

كانت الشمسُ الخائفةُ
قد طلعتْ
تحت تلٍّ من الكلمات

ووجوه الحسانِ المسفراتِ
اللواتي كان يُحبّ
كُنَّ على قلقٍ يخبّئن أعينهنَ
وأنوثتهن
خلف الطريق.

•••

لا مكانَ تحت العرباتِ
للفراشاتِ الحاسرةِ
لا أجراس
تعزفُ لصباحاتِ أطفالِ المدارس
لا رفعة للعلمِ المنكسرِ
لا مكانَ لهُ
في الحافلةِ المكتظّةِ بالأنهار
إذ لم يكن ذلك الصباح
صبحه الذي
كان يحلمُ
حين مشى في الطريق.

•••

سارت (الهمرات)
سار الغبارُ
دخانُ الرصاصِ
على الترابِ المبلّلِ
ضحكةٌ قصّتْ من جذورها
سارَ
عمّالُ البلديّةِ
نحو ضحكتهِ
بحثوا عن اسمهِ
وجدوا في جيبه (الطريق).

•••

كسرًا للعتمةِ
طلعت (فيروز)
من رنّةِ هاتفٍ نقّال
أخرسها كاتمُ الحبّ
ببصقةٍ على
زناد الطريق.

•••

طلعت الشمسُ
على التوجّسِ
والمسدساتِ
والعبواتِ الملثّمةِ
المزروعةِ
تحت عباءة الموت
هنا
وهناك
مثل أزهار الطريق.

•••

طلعت...
لكنّها
لم تطلعْ على وجههِ الحليق
مثل مصباحِ الطريق.

•••

رأسه؟
ابحثوا عنه
فوق الحرابِ
المهاجرةِ
نقّبوا

أمعاءَ الظلمةِ
أفواهَ
الكلابِ
.....
كلاب الطريق.

•••

فتّشوا هناك
قربَ جثثِ القططِ السائبةِ
وسط الأحجار الملغومةِ
في الحاويةِ
وزوايا الطريق.

•••

هكذا
انهمر الليلُ
فجأةً
على الجبالِ
التي
كان يلوذُ بخضرتِها
انهمر القلبُ
في حقيبتهِ

تذكّرَ
حينما أسلمَ الرقبةَ
أنّ العواصمَ لم تسع حلمَه
ولا القارات السبعين التي طافَ
فعاد مهرولاً

كفراشةِ الليلِ تمتصُّ
ثغر الجحيمِ
هكذا...
امتصّ السيفُ كأسه
فكانت أوراقهُ
ودمُه
ورأسُه
وطريقُه
على الطريق.

جُثة مجهولة

حينما كانوا يبحثون عن معنى
وسط فوضى المطلق
وجدوها طافية مثل مفردة عتيقة في قاموس...
عارية
إلّا من الأشنات
والطحالب الباردة
استنجدوا بالكمامات والزكام
بحثوا عن شظايا نبضٍ ما
وجدوا صمتها مبللاً بمياه آسنة
بحثوا عن وجهها
في جيوبِ الزرقةِ
لم يعثروا على فصيلة دمها
لكنهم وجدوا ثُقبًا
في ذاكرتها المعصوبة
بحثوا عن هويتها
كانت قد نسيت قرص الاسم
في آخر حرب خاضتها

بحثوا عن مقتنيات
وجدوا قاربًا في حفرة القلب
بحثوا عن علامة فارقة
وجدوا عضة سمكة جائعة
وتواقيع أسنان مفترسة
بحثوا عن شجرة العائلة
ضاعوا...

بحثوا عن كفنٍ يغطّي عورة أيامها
لم يجدوا ثوبًا مناسبًا لحُزن بلا هوية
فلفّوها بترابٍ مجهولٍ
في وطنٍ مُكلَّلٍ بالعورات.

رمـــــاد هُبل

(من سيرة عمَّار بن ياسر)

في منتصف الرؤيا
كسروا الباب الخشبيَ
بأيد فولاذيّة
قلبوا أشياء البيت
على عقبٍ
واقتادوني
بحثوا في جيبي
عن منشورٍ سرّيٍ
في ذاكرتي...
عن أسماء رفاقي
في مكتبتي
عن صورٍ
وتواقيع
فماذا وجدوا؟
غير فؤادٍ يسكنُ فيه الله

امتعضوا
حجبوا عن عينيّ
وجوهًا غاضبةً
وابتدأوا التحقيقَ معي:

في اليومِ الأوّلِ
أحصيتُ عطايا الليلِ المنظورةِ
في جسدي
فعثرتُ على خدّي سوطًا
وعلى بطني...
كانوا قد رسموا
باللّونِ الأزرقِ
كعبَ حذاء

في الشوطِ الثاني
شدوّا أعصابي
المعصوبة بالكدماتِ
على كرسيّ الإغماء
ودارَ العالمُ دورته السفليّةَ

في القسمِ الثالثِ
عُلّقتُ بأنيابِ
المروحةِ السقفيّةِ

في الجزءِ الرابعِ
صار الجسدُ الناحلُ منفضةً
لبصاقِ أصابعِهم

في البحرِ السابعِ
طاف على وجه الماء
رماد «هُبل».

عصافير عاشِقة

المُدنُ مثل الأشجارِ
تظلّ خضراء
حتى عندما تصطدمُ
بصدر عاصفة.

•••

مثلُ الأشجارِ...
عيونُها محفورة
في وجه السماء
التي أزهرتْ
على راحتيها.

•••

ومثل الأشجارِ
تفتحُ ذراعيها
للأمطارِ
والضوءِ
والعصافيرِ العاشقة.

•••

ولكنّها عند مواجهةِ أقدارها
تمتلكُ صلابةَ قلب جبل
وحين تتعرَّض إلى برد مفاجئ
تتوعّكُ
وتسعلُ
وتُصابُ بالحُمّى.

•••

ولأنّك حانيةٌ
لم تحتملي أن تكسرَ الريحُ العنيفةُ
ظهر شجرة
تأوي طيور الحب
لم تحتملي
أن يُبلِّل الطينُ وجهَ الأرصفة
لم تحتملي
أن يغيبَ القمرُ عن الشوارعِ
بدون اعتذار.

•••

لكنّك...
مثل الأشجارِ
تقفُ على أقدامِها

كلما رمت السماءُ في طريقها
حجرًا
تقفين...
لتُمشِّطي شَعَر الصباحاتِ المشرقة.

قميصٌ مُترعٌ بالغيوم

مرَّة أخرى يتكرّرُ المشهدُ
رجلٌ مطرّزٌ في المقعدِ المرتّبِ لي
مثلما
طُرّزت امرأةٌ
في المقعدِ المعدّ لكِ

مرّةً أخرى
رجلٌ يزحفُ
في الورقةِ التي عليها اسمُك
مثلما
امرأة مثبّتةٌ
في الورقةِ التي عليها اسمي

مرّةً أخرى تنوحُ الزوايا المتعاكسة
على امرأةٍ تنامُ
بينما رجلٌ
يطاردُ فراشةً نائيةً
ذائبةً في عسلِ الكلام

رجلٌ ينامُ
بينما امرأةٌ
تتعقّبُ جدولاً غريبًا
يئنُّ فوق سريرٍ بارد

مرّةً أخرى
تُصلَبُ قصائدُنا
في ساحةِ الاحتمالاتِ

مرّةً أخرى
ثمّة امرأةٌ
تخبِّئ شارعًا
تحت سرير أسرارِها
ثمّة رجلٌ
يقشِّرُ حلمَ امرأةٍ
مستلقيةٍ
تحت خيوطِ قميصِه المترعِ بالغيوم

مرّةً أخرى
ثمّة طفلةٌ
تنبتُ

خارجَ رحم الوردةِ
ثمّة طفلٌ
يحتضر.

زنـزانـة

مثلُ عصفورٍ مقمّط
برجفةِ الخوفِ
أجلسُ متكوِّمًا
على رصيفِ اللامبالاة
حالبًا المطرَ المُتدفِّق
من ضرعِ غيمةٍ عاطلة
مثلُ ظلّ قطّةٍ
تلمعُ نجمتاها في الظلام
أجلسُ متكوِّمًا
في مدينةٍ يابسةِ الضوءِ
والنوافذِ
مدينةٌ تهرعُ للمطار
حين تحمَّرُ عينُ الشمسِ
ولا تتذكّرُ قلاعها
وحصونَها
الحصينةَ
إلّا حينما يطيبُ الهواءُ

على البحرِ
فتعودُ إلى الغُرفِ المُكيَّفةِ
بينما أجلسُ
مهشَّمًا
على رصيفٍ مائعٍ
في مدينةٍ نسيتْ الأفق
بزنزانةِ القديسِ «فالنتين»
تتساقطُ من جبهتي
كلماتُ القبّرةِ العمياءِ
لستُ معنيًّا بأمر القديس «فالنتين»
ولا بأمرِ الورودِ المقفلةِ
الملتفّةِ على احمرارِها
كقطراتِ دمٍ يابسةٍ
لستُ معنيّا بأمر نفسي
التي مرَّتْ عليها
أكثر من مدينةٍ
عائدةٍ للتوّ من المطارِ
بينما يقلِّبُ قلبي الشوارعَ التي...
في المُدنِ التي...
على راحةِ الأيامِ التي...

عندما كنّا نعيشُ باسمٍ واحدٍ
وجسدٍ واحدٍ
وزنزانةٍ واحدة.

أعْـراس

على الجبلِ دخانٌ
رجالٌ يحفرونَ الجداولَ القديمةَ
عند تشابكِ خيوطِ الدمِ
متكئينِ على حقولِ (العلامات الفارقة)

أعراسٌ
مثل نصالٍ
نابتةٍ في الرئةِ

على الطبولِ أكفٌّ
ترتفعُ بالعويلِ
نساءٌ مشغولاتٌ
بنثرِ الحنّاءِ
على النوافذِ المغلقةِ

أعراسٌ صخريّةٌ
تأكّد الرجالُ
من مطابقةِ لونِ العينينِ

وفصيلةِ الدم
تأكّدتِ النساءُ
من المصوغاتِ الورقيّةِ
التي خبّأتها في عينيها
تحت النقابِ الأبيضِ
تأكّدتِ
من الخبرِ
في الجريدةِ

أعراسٌ جنائزيّةٌ
على الطبولِ دماءٌ
على الدماءِ علاماتٌ فارقةٌ

أوَ لكلِّ الأعراسِ
في هذهِ المدينةِ
طعمُ النصالِ الحادّةِ
المغروزةِ في الرئة؟

طلل الريح

لستِ أجمل ما رأته العينانِ
قبل وقوعِهما
في مصيدةِ الدودِ
ولاتخرجُ من فوضاكِ
أضواءُ الحكمةِ
لتخلبَ السمعَ والبصرَ
وتُجلِسُ العقلَ
على أرجوحةِ الجنونِ
لستِ «انخيدوانا»
التي جنى عليها
«سرجونُ الاكديّ»
إذ الشعرُ أعمى
ولا ينبغي لكِ
أن تُصبحي حائطًا
في معبدِها المؤثّثِ
بالصلواتِ
والعناكبِ
عند قياسِ درجةِ حرارةِ القصيدة

لستِ الثمرةَ الشهيّةَ
في بستانِ الوجود
ولا ملكةَ الشمعِ
حين تتقلّدُ
تاجَ الحلاوةِ
في مملكةِ الشغّالاتِ

لستِ السماءَ التي رفعها
ولا الكوكب الدريّ
ولا حجرًا في عرشِ «بلقيس»

لستِ معشوقةَ «إدوارد الثامن»
ولاحتّى عارضةَ أزياءٍ
تنشرُ غصونَها
على حبالِ الأضواءِ

لستِ لي المبتدى
ولستُ لكِ المنتهى
ولايمكنُ لنا
أن نسيرَ معًا
تحت المطرِ الحلو

لستِ الوطنَ
بكلِّ نصالهِ
القويّةِ
النابتةِ
في أجسادِنا
التي تكسّرتْ
على الأجساد
لترمي سهامَّ «المتنبي» قشرًا

لستِ أنا
الذي أفلتَ
من قبضةِ المكانِ
ولاهي التي جرفها (قطارُ برلين)
ولاتلك الّتي
هبّتْ عليها (الريح اليمانيّة)
ففصلتْها عن شجرةِ العائلة

لستِ كلّ هذا...
فكيف علوتِ
طحنتِ بياضَ سنيني
وأصبحتِ

بعد فواتِ
أوان البكاء
على طلل الريح
عاصمةً لأنيني؟

مـدارات

في مدارِ السرطان
لا توجد خُطى
ومسافات
توجد فقط أنابيبُ غاز عديم الطعم
وأجسادٌ متقاطعةٌ.

•••

في مدارِ السرطان
لا توجد تقاويم
توجدُ ساعاتٌ سويسريّةٌ
ضدّ الأوكسجين.

•••

في مدار السرطان
لا توجد أدلّةٌ كافية على الوجودِ
توجد مقابر فحسب
وأطواقٌ زهورٍ مثبتة
بدبابيسِ الطبيعةِ على أكتافِ الأرصفةِ النائمةِ
إلى يوم يُبعثون.

•••

حتى البكاءُ لا يسعفك
ومن العارِ عليكَ
أن تضحكَ
الأفضلُ لكَ
أن تبتسمَ
في وجوهِ الكوارثِ
التي هي
في عِداد تفاصيلِ
مدار السرطان.

•••

ناسُه المكفّنون
كلٌّ يغني على مولاه
يجمعُهم الغيابُ
وتفرّقُهم أشعّةُ الشمس.

•••

تتشابهُ الجهاتُ
في مدارِ السرطانِ
وأحذيةُ المصلّين
بأبوابِ المساجدِ
ألم ترَ أنّهُ كلّما سألوهُ

عن الذين قابلهم
يُجبهم عن الذين
لم يصادفْهم أبدًا
ليس لأنّه طعنَ في الأيّامِ
بل لأنّهُ
يعيشُ في مدار السرطان.

•••

عندما تتذكّرُ أنّك حيٌّ
فهذا يعني
أنّك ميّت تتألّمُ
أمّا بالنسبة للعابرينَ
فهو يعني أنّك تعضُّ أصابعَ الحسرةِ
والأمرُ لدى أصدقائِك
مغامرةٌ
ليست محسوبةَ النتائجِ
أمّا بالنسبةِ لكَ
فهو مدار السرطان.

•••

أيّها الربُّ
لا تحاسبني على ما اقترفت يداي

من كلماتٍ ناعمةٍ
وما اجترحت عيناي
من أكتافٍ
وأذرعٍ
وأثداءٍ
وأخطاءٍ رخيصةٍ
اعتبارًا من خروجي إلى الأرض
إلى مدار السرطان.

جنَّــة

في القريبِ الآجل
حيث الليلُ بنطالٌ
مثقوبُ ا لواجهة
بآلافِ الجراحِ البيض اللامعةِ
القمرُ الممسوحُ الملامح
يشقُّ دربه بصعوبة
على قِممِ الجبالِ
غير عابئ بما يقولون
يجري في العراء
على فرسِه الأبيضِ الطويلِ
تحدِّثني الجدّةُ
عن النارِ الموقدة
وعيني التي ستكون حطبًا
بسبب نظرةٍ ما
لبنتٍ فوق سطح الجيران
جسدي الذي...
بسبب إغاظة أمّي

وإهمال الواجب المدرسيّ
فارتجفُ
يرتجفُ المنزلُ
وسطَ الليلِ
وأعمدتُه السودُ
يرتجفُ القمرُ
في عُلاه
حتّى الذي يقوم أدنى
من ثلثي الليل
يرتجفُ
أغمضُ عينيَّ
حالمًا بجنّةٍ
عرضها
ساحةُ المدرسة.

طيــران

لها السماءُ بكلِّ نجومِها
وزرقتِها الفاقعة
وأنفةِ صقورِها
ولي الأرضُ
بديدانِها العجائزِ
ومستنقعاتِ شحّاذيها
وتدحرجِها السريعِ
في نشرةِ «الأحوال الجوّيّة»

لها الطائرةُ المرفرفةُ
في أعالي الكلامِ
ولي ضجيجُ المحرّكاتِ
وقشورُ المطاراتِ

لها «برجُ إيفل»
وحمائمُ «قوس النصر»
ولي الانتظارُ
ما بين قوسين.

ضحكاتٌ مُستطيلة

ماذا يحدثُ لو...
لو لبستُ جسدي
بالمقلوبِ
وركلتُ الصمتَ
بلسانٍ سليط؟

ماذا يحدث لو...
لوتركتُ لمعجونِ البسماتِ
أن ينتشرَ
على صفحةِ ذقني
وتتحرَّك آلةُ الحلاقةِ الحادَّةِ
لتُقشِّر أسناني اللبنيّة
على المغسلة؟

ماذا يحدث لو...
لو.....؟
وباستثناء
ما يحدثُ لأمّي

من دموعٍ
ومصائبَ
ولأخوتي
من جدبٍ
ولأصدقائي
من (هستيريا) طفيفةٍ
هل يحدثُ أكثرمن.....
من أن أملأ
فراغًا قليلاً
في مستشفى العُقلاء؟

خُيــوط

يومُك الأخضرُ مسجدٌ
توضّأ بنورهِ
قبل بلوغهِ

يومُك الأخضرُ جنّةٌ
فلا تكفرْ بنعمتِها

يومُك الأخضرُ صديقٌ
لا تستثقل طعناتِه

يومُك الأخضرُ من طينٍ لازب
فلا ترمْه في اليمّ

يومُك الأخضرُ هواء
امسكْ بهِ جيّدًا
ولا ترهقه بحبالِ الدخان

امسكْ بتلابيبِ يومِك جيّدًا
ولا تجعلْ خيوطَه
تنفلت
مثل بساطيلِ
جيشٍ منخذل.

انتظـار

على الكرسيّ
يرقدُ دبّوسٌ يتيمٌ
على قلبي المجاورِ
يربضُ فراغٌ هائلٌ
الساعةُ بكاملِ ضجيجِها
تضغطُ على معصمِ الظلمةِ
يضغطُ الهواءُ الدامسُ
يضغطُ الدبّوسُ على الورقةِ
فينفجرُ
بالونُ
الانتظار.

تــراب

رغم أنّني هنا
وأنتِ هناك
إلا أنّ الحياة كانت أجمل
والهواء كذلك

واليوم بعد أن (طوى الجزيرةَ) خبرُكِ
أصبحت الحياةُ
منفضةَ رمادٍ
مادامت الشمسُ
لم تعد تنظِّفُ نورَها
بوجهِك
فبسببكِ كان هناك
أجمل من هنا
وهنا
كان يحلمُ
أن يكون مثل هناك
واليوم لاهناك

سوى هنا
عليلةٍ
تنظرُ
بعينينِ دامعتينِ
شاخصتينِ
في التراب.

وجبة

كان يضعُ يدَه
على بطنِ الشمس
ويقدِّدُ القليلَ
من الغيومِ

ماذا تفعلُ؟
أُعدُّ طعامًا للموتى
لكنّهم شبعوا موتًا باردًا
شبعوا عزلةً دسمةً
قُدَتْ من ظلامٍ
وترابٍ
ودودٍ يزحفُ
على بطنِ
التاريخ.

لـؤلـؤةٌ اسمُها الأبديَّة

فاردًا جناحيهِ
متتبّعًا خُطى جنّةٍ عرضها البحر
قافزًا
مثل شهقةٍ في الفراغِ
عند الهبوبِ
معكِّرًا جسدَاليابسةِ
مبدِّدًا
ظلَّ الشمسِ
على الخريطةِ
يهوي...
مُخلِّفا أعاليهِ الشاهقةَ
سماءه اللّامعةَ
فوق قدميهِ
يهوي...
بكفينِناصعتينِ
تحتَ خاصرةِ الموجِ
ودموعٍ تصبُّ ملحَها

في أملاحِ الظلمةِ
لتفتحَ الجهاتُ قمصانها
وتزدهر نبتةُ الخرابِ
يهوي...
تحت الزرقةِ الداكنةِ
تحت الصفرِ
تحت الويلِ والثبورِ
نازلا سلّمَ مملكةِ الليلِ
حيث الأفاعي
تلتفُّ حول أنياب التماسيح
حيث السراطينِ اللزجة
تطاردُ السلاحفَ
حيث أسماك القرشِ
تقشّرُ الخوفَ
بأسنانِها
نازلاً حيث الماءُ الفاسد
يطبلُ على البطنِ الذي حمل «يونس»
أربعين ليلةً
بالتمامِ
حيث الظلامُ يدقُّ

يلوّحُ لشجرةٍ من يقطين
بعظامِ السُّفنِ العاطلةِ
ومحاريثِ السعيرِ
نازلاً حيث زُرقة الأوردةِ
ونفاد الأوكسجين
كلّما يحنّ (للجمال النائم)
و(الدانوب الأزرق)
يسمعُ عويلَ الجنّيّاتِ
ونقيق الضفادعِ
الذي يحيطُ بهِ من كلِّ حدبٍ
وأخدود
نازلاً حيث الحُفَر التي حفرتْها
جماجمُ البحَّارةِ الغرقى
تفتحُ أفواهَها
لتلتهمَ ما يتساقطُ
مزقًا
من وصايا الزوالِ
وحسراتٍ ملفوفةٍ
كظلِّ وردةٍ ذبيحةٍ

نازلاً حيثُ لاملاذ
سوى لزوجةِ الأطيانِ
وظلامِ اليأسِ
نازلاً...
نازلاً...
ليصعدَ
متوّجًا
الهواءَ الطلقَ
بلؤلؤةٍ
اسمها
الأبديَّة.

إشاراتٌ بركانيَّة
على طريقِ المقبرة

١. إشارة حمراء

في «كوما»
طوى البركانُ الفائر قشرة «الكونغو»
طوى الحدائقَ والمتنزّهات
طوى المدارسَ
والحقولَ
وورقةَ اليانصيب للضحيّة
قبل موعد السحب
طوى الليلَ
بجلبابهِ الأحمرِ
(كطيّ السجلّ للكُتبِ)
طوى الساحاتِ
دوالي العنبِ
الشوارعَ
والمستشفياتِ

طوى الطفولة
والطريقَ إلى المدرسةِ
طوى سُحُبَ العصافيرِ
وعندما طوى المقبرةَ
سمع الناسُ
طقطقةَ عظامِ التاريخ
حينها...
بكوا الآتي من أيّامِهم
بحُرقة.

٢. إشارة خضراء

ركضَ اللّهبُ
ركضتْ أعناقُ الأشجارِ
ركضَ الأولادُ
وخزاناتُ المياه العذبةِ
وعارضاتُ الملاعبِ
ركضتِ الشمسُ
والجبالُ
والقططُ الضالّةُ

ركضتِ
الشبابيكُ
والأسِّرَةُ
وصناديقُ الزفافِ
ركضتِ الشاحناتُ
والأدويةُ
وأقلامُ الماجك
وحدَهم الموتى
حدَّقوا بوجهِ الموتِ الأحمرِ
ثم تدثَّروا
بنومِهم الجهنميّ جيّدًا
فاسحينَ الطريقَ له
أن يمرَّ بديارِهم
بسلام.

٣. إشارة سوداء

الأمُّ التي قفزتْ
من ظهرِ الموتِ
فارّةً بجلدِها

لم تأبه لبيتِها الذي جرفته الحِمَمُ
ولا الليل الذي جاء إليها
بدون مأوى
ولا لأشيائها
التي بعثرها فيضانُ النار
ولا لقبرِ أمّها
الذي لن تضعَ فوقه
الزهورَ بعد اليوم
لم تأبْه لكلِّ هذا....
بل ابتسمتْ
عندما تأكّدتْ
من نجاةِ ولدِها الوحيدِ
لأنّ البركانَ
غيّرَ مجراهُ
قبل بلوغِ قبرهِ
المتفرِّدِ
فوق التلِّ البعيد.

عَـطَـــل

كلُّ شيءٍ عاطلٌ فيك
التذكّرُ...
الرسائلُ...
الخفقانُ
حتى الرياح
التي ليس بإمكانِها
السباحة في سمائِك
لذلك تعجزُ عن مداعبةِ
كلماتِك السوداء
المضفورةِ جيّدًا
في فمِ الطريقِ
أمَّا الشمسُ
فإنها تزاور عن كهفك
إذا طلعتْ ذات اليمين
ولاتمسّد تقلّبات أحجارك
إذا غربت
ذات الشمال

لذلك أريدُ منك
قليلاً من الضوء
قليلاً من الموت
أن تستيقظي
في القلبِ تمامًا
لا أريد منكِ
أن تكوني
أكثر من
ساعةٍ عاطلةٍ
تضيء الوقت
مرَّةً واحدةً
في اليوم.

ضِيـــــق

- إلى المتنبي -

هي الأرضُ كثرٌ
ولكنّها...
في اقتسامِ الوجودِ
قليلٌ عليك
لذلك ضقتَ
وضاقت
وصارت عيونُ الكواكبِ
ترنو إليك.

غدًا تخرجُ الحربُ للنُّزهة

غدًا تخرج الحرب للنزهة
زيِّنوا المستشفيات بالأدوية والضمادات
والمشارط الباشطة

غدًا تخرجُ الحربُ للنزهة
نظِّفوا القبورَ من الأتربة والأدغال
واحفروا أخرى للحيطة
إكرامًا لأنفها من روائحِ الجيف النتنة

نظِّفوا الأوحال من الأوحال
نظفوا أسنانكم جيدًا
لكي تتَّضحوا أكثر
في العتمة التي تحفّ بموكبها المهيب

نظّفوا قلوبَكم من الأفراحِ العابرة
لأنّ الحربَ
لا تحبّ البالونات والفقاعات الهوائية

غدًا تخرجُ الحربُ للنزهة
هيِّئوا أجسادكم للآلام
وأعضاءكم للبتر
وقلوبكم للآلام
لأنّ الحرب
ستعبثُ معكم
إنها تحبّ اللعب بالعيار الثقيل

غدًا تخرجُ الحربُ للنزهة
اتركوا النعومةَ
والضحكَ
إنها لا تحبّ الشوكولاته
وتبادلَ القُبل في الطرقاتِ
وأمورٌ كهذهِ تضرُّ بصحّةِ القلب
حسب مزاج الحرب
التي ستخرج غدًا للنزهة

أفرغوا صنابيرَ العيون
من حمولتِها المالحةِ
فالحربُ تعاني من ارتفاع الضغط
وتكلُّس الهواء في الشرايين

وتبعًا لهذا
فإنّها لا تحبّ الأملاحَ
في الزادِ... والخدودِ

غدًا تخرجُ الحربُ للنزهة
افطروا قلوبَ الأمهاتِ
لكي لا تتمدَّد الدموعُ بالحرارة
وتنفجّرُ قشرةُ الأرض
فتثورُ البراكينُ النائمةُ
في الصدور

غدًا تخرجُ الحربُ للنزهة
أطفئوا القمرَ النابت فوق السطوح
لكي لا يؤثّر على بريق
قنابل التنوير
التي تنيرُ لها الطريقَ
لنحصلَ على موتٍ جميلٍ
ومريح كمخدّة من ريشِ الملائكة

غدًا تخرجُ الحربُ للنزهة
فلنقفل المتنزهات

والحدائق
والشرفات
لكي تتمشّى على راحتِها

أزيحوا من السماء الغيوم
لكي لا تُبلِّل أجنحة الطائرات
وتحيدها عن أهدافها المرسومةِ بدقّة

غدًا تخرجُ الحربُ للنزهة
ازرعوا الزهورَ
فالمقابرُ ستنمو
وتفاصيلٌ كهذهِ ضروريّة
لرفع معنوياتِ الموتى
المعلَّقينَ في رقابِنا
إلى يومٍ يُبعثون

غدًا تخرجُ الحربُ للنزهة
خزِّنوا المياهَ والخبزَ والهواء
فالحربُ - في نزهتها- تجوعُ بين حينٍ وآخر
وإذا لم تجد ما تأكله من أجسادٍ لدنةٍ
وشقاواتٍ وبراءةٍ وأحلامٍ طازجة

ستضطرُّ إلى أكلِ البنايات
والجُثثِ النائمةِ في القبور
والكُتبِ والشوارعِ والبسكويت
ستضطرّ لأكل الجبال الراسيات
والناس والحجارة
فهي بحاجة إلى أيِّ شيء يجعلُها
على قيد الدخانِ
والرصاصِ والشظايا

غدًا تخرجُ الحربُ للنزهة
وعلينا أن نخرجَ جميعًا لملاقاتِها
من غُرفِ النومِ
والمدارس، وصالونات الحلاقة، والمكتبات العامة، والمساجد، والملاجئ، ألف ليلة وليلة، والكهوف، وبطاقات التهنئة، والحقول، والقبور، ومواضع الأشخاص، وأكياس الخبز، وقناني المياه الغازية، وإشارات التوحيدي، وفرشاة الأسنان، وألفية ابن مالك، وروضات الجنّات، وشجرة العائلة، والأقمطة، ونشرات الأخبار

علينا أن نخرج لملاقاتها
من جلودِنا وأسمائِنا اللبنيّة

وننضمّ إلى موكبِها السائرِ
إلى مقبرةِ السلام

غدًا تخرجُ الحربُ للنزهة
اتركوا النعومةَ
والضحكَ
والرقصَ
والطفولةَ
والنساءَ
والأسرَةَ
وأكوابَ الشاي بالحليب
ومقاعدَ الدرسِ
وما تبقّى من أحلامٍ
متناثرةٍ في الزوايا
إنّها لا تحبُّ الشوكولاته
وتبادلَ القُبل في الطرقاتِ
وأمورٌ كهذه تضرُّ بصحّةِ الحربِ
التي ستخرجُ غدًا للنزهة.

٢٠٠٣/٣/١٤

التمثال

مُخيفًا
في ليلِ الساحةِ
كان التمثال
قويًّا
تطلعُ من جبهتهِ الأسمنتيّةِ
نارٌ...
فانتشرتْ
ما بين الناس شظايا الأقوالْ:
وليٌّ...
يشفي الأكمه
والأبرصَ
يحيي الموتى
من رقدتِهم
في الحالْ
رأيناهُ بوقفتهِ (الصوفيّة)
يرفع كفًّا بيضاء
إلى الأعلى

ليصافح نجمًا قطبيًّا
يعصرُ منه النورَ
ويجمعُ ما يتساقط
من بين ثنايا لمعتهِ الحرّى
بسلالْ

وانتشرتْ ما بين الناس
شظايا الأقوال

رأيناهُ يكلّمُ مَنْ في المهد
وحين يمسُّ الحجرَ الصلدَ
النابتَ في الأجبالْ
تصيرُ بقدرتهِ ذهبًا
وفصوص لآل

وانتشرتْ ما بين الناسِ
شظايا الأقوال

أتى بالشمسِ من المغربِ
لو شاء
وأضافَ مجوسُ العصرِ:
لقد جاء

يُخلِّصنا
من عطش النارِ
ومن لبس الأسمالْ
قال الشوعيّون:
رأيناهُ بأمّةِ أعينِنا
يلبسُ نظّارتَه
ليضيف سطورًا بيضاء
لـ(رأس المال)

وانتشرتْ ما بين الناسِ
شظايا الأقوالْ

قال إمامُ المسجدِ
-وهو يمسّد أكذوبته -:
جاء من الآخرة إلينا
يحملُ جنّته الخضراءَ
إلى الفقراءِ
... جحيمًا للأنذال
قالت امرأة ، في ثوبِ العرسِ
رأوها تخلعُ عفّتها
تحت القاعدةِ الصلدةِ:

(اطفئ جمرةَ قلبي
حطّمْ كلّي
اكسرْ صدأ الأقفالْ)

وانتشرتْ ما بين الناسِ
شظايا الأقوالْ

قال الرائي
سرًّا للموجِ:
أرى طوفانَ دمِ الريح
يسيح
وأعناقًا تتدلّى
وتبوء بشسع نعالْ
ذاك التمثالْ
.....
.....
....
ولمّا هبّتْ عاصفةُ النارِ
بقاعدةِ الحجرِ الصلد
تهاوى من قمّة أسطورته التمثال

تناثرت الأحجارُ
على الأحجارِ
لتحملَها الريحُ
بذيل عباءتها السوداءِ
إلى حاوية الأزبالْ.

أُضحيـــة

(لابن جبير ومن جاوره)

من نجماتِ الصيفِ
على سطحِ طفولتهِ
لم يشبعْ
لم يركعْ
إلا للوردةِ في العرشِ
ولم يتعبْ
من شمِّ أصابع غيمتهِ
لم يضحكْ بعد...
*وهذا الدمعُ؟
- قميصُ العين
*لماذا؟
-شجرٌ مقطوعٌ من قلبِ الأرضِ
هو المعزفُ
*الأوتار؟
- شظايا روح

*وثقوبُ الناي؟
– تدوّي
في السمعِ
كنفخةِ إسرافيل
فيبكي....
لكن حين رأى
سيفَ القاتلِ يلمعُ
في كفّ الظلمةِ
استغرق بالضحكِ
ولم يمسحْ عينيهِ
بكتفِ العتمةِ
لم يرحلْ
إلا للأفقِ
*أتسخر؟
– لا عُذرَ لرأسٍ
زحزح عن موضعهِ
وسط دمِ النطعِ
* أرى إنّي أذبحُك
– افعلْ ما شاء السيفُ
* ألا تخشى؟

-لأكنْ خاتمةَ الحفلِ
*تشهّدْ
-أشهدُ أنّ دمَ اللحظةِ
لن يبرأ.

لم يملأ رئتيه هواءُ الأعيادِ
لم يكبرْ طائرُه الفضيُّ
المثخنُ بالأصفادِ

قال الراوي:
سقطَ الرأسُ
على السيفِ
فقامَ من النومِ
يُسائل نفَسه:
مالي...؟

مرتعشًا
كان الليلُ
يصيحُ بجوفِ الليل:
البرد.. البرد
و مالي..؟

فيمدُّ إلى الدمعات الحرّى كفيهِ
يمدّهما...
حتى اهترأ الصوتُ
تهاوى
كالشاةِ المذبوحةِ
كالشجرِ المقطوع
على نطعِ الكُتبِ الصفراء.

مَلهاة عراقية

سادتي يا كرامْ
اعذرونا
إذا ما طوينا
ستارة (ملهاتنا)
قبل فصل الختامْ
فقد طال هذا المساءُ كثيرا
ونحن تعبنا
من الرقص كالطيرِ
إثر اهتزازِ طبولِ الحروبِ الرخيصةِ
بين عيونٍ مزيفةِ الضوءِ
تعبنا من الاحتضارِ
بحضرةِ رث الكلامْ
اعذرونا
إذا ما طوينا
ستارةَ (ملهاتنا)
قبل فصل الختامْ
فقد طالَ صمتُ الملايين

طالَ...
ونحن تعبنا من العالمينَ
الذين...
بكلِّ جهاتِ الفجيعةِ
يتّكئون
على صرخاتِ بَنينا المريعةِ
في ساعةِ الاحتدامْ
اعذرونا
إذا ما طوينا
ستارة (ملهاتنا)
قبل فصل الختامْ
فقد طالَ عنقُ (الفرات)ِ
المعلَّق فوق الرماحِ
ونحن تعبنا
من الريحِ
وهي توزِّع
ما جادت القاذفاتُ
من (اليورانيوم المخصّب)
والأضرحةْ
تعبنا من المذبحةْ

وهي تسيرُ بنا
للخلاصِ
إلى مذبحةْ
وتعبنا
من الطائراتِ التي مزقتْ
كلّما عطشتْ
للسماء
صلاةً لأميَ
قبل المنامْ
اعذرونا
إذا ما طوينا
ستارةَ (ملهاتِنا)
قبل فصلِ الختامْ
فقد طالَ سجنُ الأسيرِ
ونحن تعبنا
من القصفِ
والزحفِ
فوق الجراحِ التي ألغموها
بأطرافِنا
كي تطيرَ إلى اللهِ...

تعبنا
من الصلبِ
والنومِ في الجُبِّ
في الحيفِ
في شفرة السيفِ
وهي تهرولُ
فوق الرقابِ الكليلةِ
باسم السلامْ
اعذرونا
إذا ما طوينا
ستارةَ (ملهاتِنا)
قبل فصلِ الختامْ
فقد طال نوم الضحيةِ
تحت مُدى القاتلين
ونحن تعبنا
من (البارجاتِ)
تُقطِّعُ أوصالَ ليلِ المُحبّين
عند محيطاتِ آهاتنا...
من الشمسِ
وهي تُجفّفُ

كلّ صباحٍ يمرُّ
دماءَ المساءِ الأخيرِ..
من الجرحِ سالَ
ليصبغَ لونَ السماءِ الحنونةِ
بالأرجوانْ
وأشلاء حزنِ الحمامْ
اعذرونا
إذا ما طوينا
ستارةَ (ملهاتنا)
قبل فصل الختام.

شـؤون عائليـة

«كلكامش» الذي...
صارع نمرَ الغابة
وأوقعَ الوقتَ على قفاه
«كلكامش» الذي...
مزّقَ صورة «عشتار»
وأخلفَ معها أكثرَمن موعدٍ
تحت الشجرة
فكانَ أن رمتْه
بأكثرِمن غوايةٍ
«كلكامش»الذي غنَّى...
فجُنَّت العذارى
وقطع في مسيرهِ
أكثرَمن سنة ضوئية
رأيته واضعًا كفّيه
على خدّيه
بعد أن أضاعَ طبله
في أعراسِ الأفاعي

ولم يبقَ له سوى
أن يُقبِّل راحةَ «سيدوري»
ويُدلِّل الطفلَ الذي هو
في الطريقِ إلى
شؤونهِ العائلية.

الجسـر

وطنٌ ينأى في المرآةِ
وقلبٌ شابَ من الحُبِّ
تحطُّ الطائرةُ السوداءُ
على صدرِ الجسر
فأقطعُ ميلَ الساعةِ ركضًا
وألملمُ عن أكتافِ الزمن السريّ
شظايا اللحظاتِ
أيذكرُ؟
حين ركضنا
خلفَ حمام الجسرِ
على بُقع الريحِ
صبغنا ضحكتَنا
ببياضِ الريشِ
أقلنا ناصيةَ الطلقةِ والصيّاد...
أيذكرُ؟
قفازاتِ الجسرِ
على الجسرِ

عروقًا نافرةً
وندى يركضُ
خلف صبيٍّ يركضُ
ينبتُ فوق أصابعِه الجسرُ
حمامُ الجسرِ
وفي جيبِ الصدرِ
يخبيءّ صبحًا
تسقطُ أمطارٌ
فوق زجاجِ التبليطِ الأحمر
خاتمةُ الحفلِ:
دمٌ مفروشٌ فوق الريحِ
بياضُ مكسورٌ
• والباقون؟
– تعشّوا في غرف التوقيفِ
لماذا مرَّ الجسرُ سريعًا
مرَّ حمامُ الجسرِ
فتاةُ المستشفى
صبحًا....
شاهدتُ دماءَ الريشِ
على حيطانِ «الماربلكس»

المرآةُ الفضّيّةُ تلمعُ
والجسرُ
تسيرُ عليه العَربات.

وَكْـــــر

ما بين نخلتينِ
يرقدُ الذي سجَّوه في المساءِ
في الصميمِ
من سطوعهِ
ما بين شَرطتينِ
أو قوسينِ من رمادِ الخيل
أو...
ما بين نجمتينِ سمراوينِ
في مقبرةِ النخيلِ
قلتُ للسياجِ
في تجَّعداتهِ
للحارسِ المكتظّ
بالشكوكِ
والدخان
للوكرِالذي بدا
من تحت سعفتينِ

للطفلِ الذي شبَّ
على الخنجرِ
من شبرينِ
معجونينِ
بالغبارِ
والنارنجِ
والرياحِ
قلتُ للصمت السماويِّ
أعنّي
لأرى لألأةَ الحلمِ الذي
أودعَ
في اليمِّ
ببيتٍ من جريد النخلِ
في الليلِ
على الجبهةِ
خيطٌ من رصاصٍ
ذائبِ الجمرِ
على الأقدامِ أغلالٌ
وحزٌّ أسود
نُقّعَ بالملحِ

على الصلاةِ ماءٌ أحمر
ينبعُ من جذورِ طلقتينِ
في مساءٍ طاعنٍ
في الدم.

قالَ النَّجـمُ

يا قصيرَ العمرِ
لا تسألْ
عن النجمِ
وما صاغوا من الأقوالِ
(عموريّةُ) استعصتْ على (الإسكندرِ الأكبرِ)
يا تبّع
واستعصتْ على (تبّع) يا (قمبيز)
واستعصتْ
على الأفلاكِ
دارَ العقربُ التائهُ
في غيرِ مدارْ
(زحلٌ) مالَ إلى الشرقِ
ولم يحجمْ
وبانَ الكوكبُ الغربيّ ذو الأظفارِ
دارَ الأمس دارْ
ومضى ليلانِ
قرنانِ
و(عموريّةُ) استعصتْ
على سيف الزمان.

القطارُ السريع

عن الشارعِ الممتلئِ بالضجيجِ
وعن كركراتِ
النساءِ الجميلاتِ
قبلَ الغروبِ
عن العرباتِ التي
تتلوّى مفاصلُها
في دَمي
عن الشجرِ المتجذِّرِ بالقلب
عن وردةٍ ثغرُها
من بروقٍ
وعن صبيةٍ يلعبونَ (القطار السريع)
بين الأزقةِ
والليلِ
والأرجلِ الحافياتِ
بعيدًا بعيدًا
وقفتُ
ببابِ الزمانِ القديمِ وحيدًا

سألتُ الطمي
عن خطاك الأليفاتِ
سألتُ عن السكّةِ النائمة
رأيتُ النهارَ القديمَ
يمرّ وئيدَ الخُطى
قلتُ: قفْ
غير أنَّ (القطارَ السريعَ)
سريعًا جرى
فلويتَ عنانكَ
عُدتَ
إلى الغُرفةِ الموحشة.

صعـود يحيى

سمَّته الضفّة: يحيى
كي تحيا الوردةُ
سمَّته شوارعُ غزةَ: يحيى
كي ترمي لُعب الأطفالِ
شرارًا من سجِّيل
فيزورُّ الخاكيُّ
وتغرقُ في العتمةِ
أنيابُ الليلِ
وتغرقُ دوريّاتُ الاستطلاعِ
بسيلِ مناقيرِ «أبابيل» الحاراتِ الشعبية
واللبن البلديّ
سلامُ الأرضِ المحزونةُ
يومَ كبرتَ على ثوبِ العيدِ
ويوم تصدّرت الذبحَ
ويوم بكى الشيخ وقال:
على «يحيى» وا أسفاه

فالدربُ المحفورُ
بأقدامِ الدركِ الليليّ
قد ابيضَّت عيناهُ
فنادتكَ الطرقاتُ
حجارةُ غزّة: يا يحيى
إنّا بشَّرناكَ
ببيتٍ ملمومٍ
كالضمّةِ
أولادٍ يصطخبونَ ببابِ الشمسِ
يشدّونَ الريحَ
إلى حبلِ الصفصافةِ
في الليلِ ، يعتّونكَ مثل حروف الجر
فعُدْ للدائرةِ المعقوفةِ
في ضلعِ الفرجالِ
ونمْ في زاويةٍ قائمةٍ
دعْ شبّاكًا منفرجًا
تتأرجحُ فيه السُحبُ المطعونةُ
في زرقتها
– لكنّ الزمنَ العربيَّ الأجوفَ عاقر؟!!

هزّ إليك بجذعِ الرشّاشةِ
تسّاقطُ حسكًا برّيّا
وآتيناهُ الحزنَ الوطنيَّ صبيّا.

•••

ومضى يحبِي
للبحرِ يهندمُ زرقتَهُ
يتصيّدُ عاقولا
يُطعمُ في العطلةِ دُوريّا
ومضى يرسمُ جسرًا
متوازي الساقينِ
ليعبرَ للرئةِ الأخرى
يشتقّ الجذرَ التربيعيَّ لدهشتهِ
يضربُ أطرافَ الظلِّ
تمامَ الخيمةِ.

•••

في الصفِّ
تعلّمَ كيف يزوغُ بعينيهِ
إلى خارطةِ الدنيا
ليؤشّرَ مقعدَه الخشبيَّ
بـ«رام الله» مليّا

وتعلَّمَ
كيف تكفّ الصُّدفةُ
عن عادتِها العشوائيَّةِ
كيف يراوغُ شرطيّا.

•••

في الشارعِ
مرَّتْ أجراسُ الإطفاءِ
وصفَّاراتُ البوليسِ المتوثّبِ
مَرَّ المهمازُ
بظهرِ الإسفلتِ دخانٌ
وعلى الحائطِ
صورةُ «يحيى»
فعلى من يعرفُ شيئًا
عن مخبأ قفازيهِ
وعن غضبتهِ الزيتونيّةِ
في جذرِ الوردةِ
يُدلي للجنرالِ العصبي
حين يُعربدُ في المحضرِ:
• هل شاهدتم يحيى؟

– يحيى في الحقلِ
يفجِّر أنسامَ النجمِ القطبيِّ
يدثّر عُريَ الغيمةِ.

• ماذا قالَ لكم يحيى؟
– كان يكلِّمُ عصفورًا
ويوشوشُ في عينيهِ
الغاطستينِ
ببئرِ السبعِ.

• وماذا يفعلُ في الوقتِ الفائضِ عن رشّاشتهِ؟
– يتصفَّحُ أخبارَ الموتِ بـ«يافا».

• هل مرَّ بكُم يحيى؟
– قبل قليلٍ
مسَّدَ ريشَ أغنيةٍ
ومضى للواجبِ.

• • •

لكنّ إجاباتِ الأشجارِ
تخبِّيء « يحيى » في أسطرِها
وتتمتمُ:

- أركضْ يا يحيى
خُذْ حافلةَ النارِ بقوّة
كي لا يحيا الزيتونُ
بمدرسةِ الأيتامِ الخيريّةِ
اركضْ يا يحيى
اركضْ
في الساحةِ طلقة
في الطلقةِ مقهى
تجلسُ فيها «سالومي»
وفتىً أشقرُ
في الشقرةِ جيبٌ علويٌّ
في الجيبِ دليلٌ....
في حرفِ الياءِ
تسجِّل «سالومي» رقمَك

اركضْ يا يحيى
اركضْ يا يحيى
اركضْ يا...
«أولاد الأفعى» قرعوا الطبل.

مـاركـةٌ مُسجَّلـة

لكي تصنعَ صباحًا جيّدًا
صباحًا غيرقابل للكسرِ
والقسمةُ الضيزى
على نهارينِ أحمرينِ
أحضرْ:
فتيتَ جناحِ صِدفةٍ
ظهيرةً مقفلةَ الرنينِ
طراوةَ غصنٍ مختبئ
تحت فسحةِ ظلٍّ
اسمُ مدينةٍ
لم يبلّلْ حائطَها مبكى
«واحد غرام» بحر
الوصفةُ:
عرّض الحوائجَ لتيارِ برهةٍ
اضفْ نصفَ كوبِ صمت
رشّ ثلاثةَ غرامات
من حلمٍ بِكرٍ

وقليلاً من عافيةِ نجمةٍ
علِّقِ المخلوطَ
بتلابيبِ عاصفةٍ
تحذير:
لا تتركْه يحتكّ
بغصنٍ مشاغبٍ
أو كلمةٍ جارحةٍ
بعد ذلك:
أفرشْ المحتويات
على عشبِ لحنٍ باردٍ
وانتظرْ
انتظرْ
انتظرْ
حتى يطلعَ صباحٌ جيّدٌ
صباحٌ غيرُ قابلٍ للكسرِ
صباحٌ بماركةٍ مسجّلةٍ.

مُقتطف من طوق الهدهد

... وحينما أضرّتِ الأشواقُ
هيكلَه
وأوجسَ الهدهدُ
في جولتهِ
أنباء صدّيقة عرشِ الشمسِ
نبّ طائرٌ
من جندهِ:
امهلني نهارًا مفردًا
وقالَ عفريتُ:
سآتيك بها وعرشِها
من قبل أن يرتدّ طرفُك الجليلُ
يا مولاي...
لكنّه
قال لهم:
وهو يلف مغزل الكلام
– سوف تعود في نهاية المطاف
من تلقاء تيهها

إثر ذبول الشمس.

•••

وأوقدتْ مواسمُ الخريفِ
في لحيتهِ البيضاءِ
أشجارًا من الشموعِ
راحَ مغزلُ الكلامِ
يفتقُ النسيجَ
كلّما ينمو
بساطُ الوقت.

•••

وفي ختامِ نبضهِ
توقّفتْ سحابةٌ
ترجّلتْ من برقِها الخلّبِ
صدّيقةُ عرشِ الشمس
تساءلتْ عن دمعهِ المعجون بالغبار
قيل لها:
غيّبَ في الصحراءِ نجمًا تائهًا
وحينما رأتْه
ينسجُ الشمسَ
على قميصِ روحه البردانِ

أعولتْ
وأسفرتْ
عن ناهدينِ يابسينِ
في عروقِ حلمتيهما
يحترقُ القصبْ
وفي مرايا صدرِها
فراشةٌ ميّتةٌ
على صليبِ
نقرة اللّهبْ.

•••

وهكذا أنهى
فصولَ العشق.

رنيــن

رنَّ الهاتفُ...
لا بدّ تذكرتِ الآن فتى
يترقّبُ زهرةَ ضحكتِها
.....
لا بدّ.....
ألو.....
لابدّ تذكرتَ الآن.....
توقعتُك
.....
قولي شيئًا ما
.....
قولي..
.....
.....
.....
هل رنَّ الهاتف؟

يقول لصاحبه

(إلى الشاعر عدنان الصائغ)

الليلُ....
و.....
قد يحملني خطأ في الرقمِ إلى
هيكلِ ظلمتِها
يسقطُ نجمٌ في كأسي
أتلمّسُ خيطَ الريحِ
فألمحُ إضمامةَ ضوء تتماوج
مثل رنينِ السُحُبِ الصيفيّةِ
مدّ الكفّ لها السمعُ
بوادي النمل
ربيعٌ يندبُ زهرته الأولى
وسماءً تعصفُ
خذني من صافرةِ الإسعافِ
لأجراسِ كنائس «روما»
تندبُ روحَ العذراءِ

بموكبِها الحادي نحو بخار الزرقة
خذْني.....
من قلبي المعصوبِ بشالٍ قطنيّ
فالأمطارُ على طرقاتِ قميصِك
تسقي أزهارَ ضريحي
وتعيدُ لروما
أمجادَ ربيع شفاهي
ونضارة روحي
وحدي.....
في الليلِ الأخرسِ
أحضنُ جثمانَ الصوتِ
وأعصرُ أسلاكَ الهاتف
.....
.....
هل يقطرُ إلا أخطاء الأرقام؟

نشيدُ الراحليـــن

إنَّهم ينفضونَ الخيامَ
يعدّون زادَ الرحيل
فتسّاقط الأنجمُ الغافياتُ
لتكتبَ فوق الرمالِ اعترافاتِها
للذين...
أقاموا هناك أضأنا
سكبنا لهم دمنا...
فتوهّجَ أفق الصحارى مرايا
وغارَ القمر
للذين أقاموا...
ولدنا...
نمونا...
ملأنا البريّة بالشعرِ
والآن...
لا نعرفُ الآنَ...
كيف نضيءُ؟
الماءُ في واحةِ القلبِ

مازال يجري
و يختضُّ حين تثورُ الرياحُ
فهل أقفرتْ روحُهم
قبل أن ينضبَ الماءُ؟
أم هي الأرض تفترُّ؟
أم قَدَرٌ في الجبين؟
مَنْ ينبئُ الغيمَ أنّ الصغارَ
يبيتون دون عشاءٍ
وأنّاتُهم ثقّبتْ
كوخَ صدري
من الجمر أقسى...
ومن طعناتِ الخناجرِ
يا صاحِ...
من يُنبئ الغيمُ؟
أنّ الأماكنَ
رهّلها الانتظارُ
أنّ القناديلَ
جرّحها الضوءُ
أنّ القلوبَ
نسيت خفقها؟

ويا صاحِ...
من يُنبئُ الضيفَ
أنّ مواقدَهم
أطفأوها
وفرّقتِ الريحُ دخّانها
والقوافلُ سارتْ
على هدي برج النزوح
بلا موعدٍ يرحلون...
فيستوحش الرملُ...
والليلُ
والماءُ
والريحُ
و كثبانهم...
والمكان الذي ثبّتوا فيه أطنابَهم
اقتفى خطوهم...
طارقًا كُلّ أبوابِ صحراءِ هذا المدى
غير أنّ المسافاتِ
قالتْ:
تمهّلْ...
فأبوابُنا أغلقتْها

أكفُّ زمانِ القنوطِ
وغنّى الحُداةُ
فعادَ لي الليلُ
والأنجمُ الغافياتُ
أسائلُها:
- كيف أضحتْ عشيّاتُنا المقمراتُ
شراشفَ تحجبُ ضوءَ النوافذِ؟
كيف أضحتْ أماكنُ لهو الصغار
مزارَ العناكبِ؟
كيف...؟
المراكبُ حطّتْ
على مرفأ القلبِ
ألقتْ مراسيها في دمي
ولكنَّ وجهَ التي غادرتني
زمانَ الصبا...
والمواويل..
والقهوة المُرَّة الطعمِ
ما عاد لي...
فتئنُّ التقاويمُ
تبكي الزوايا...

وقلبي...
والأنجمُ الحافية
إنّهم يرحلونَ...
ولا نعرفُ الآن...
كيف نُضيء؟

جولة في عيون سنيورينا (*)

«سنيورينا..
يا ذاتَ العينينِ السوداوين»
يا ذاتَ الشعرِ الذهبيِّ المتناثر
مثل خيوطِ النورِ على الكتفين
«إني أتساقط من عينيك الرائعتين»
فتملؤني الرهبةُ..
والبوحُ المكبوتْ
أتزحلقُ..
فوق بياضِ الوجهِ البلوري
أتسرَّبُ..
حتى أدنو
من شفتيكِ
واقتطفُ الياقوتْ

* سنيورينا: بطلة مسرحية (الجمجمة) لـ«ناظم حكمت»، والقصيدة استبطان لذات حبيبها الشاعر الذي ماتت على يديه وهو يؤدي رقصة الموت الجهنمية.

دعي شفتيّ الظامئتينِ
تغترفانِ ندى راحتيك
دعي
لأصابعِ كفيّ
نشوةَ تصفيفِ شعرِك
دعي ساعدي..
يرتمي..
ويحيطُ بدورةِ خصرك
وبعد طوافي..
أموتْ

«سنيورينا.. يا ذات العينين السوداوين»
الآن تنامينَ
على أوراقِ التوتْ
وأنا أبحثُ في منفاي
عن امرأةٍ
كنتُ أنامُ بعينيها
كنتُ أتابع رحلةَ عمري
في عينيها
كنت أسافرُ..

أفنى..
وأعودُ فتىً يقبعُ
خلفَ الشرفات
يغافلُ حرّاسَ الطرقات
ليقبّلَ عينيها
الآن تناميَن
على أجنحةِ الأطيار الجذلى
وأنا...
أتوزَّعُ بين مقاهي المنبوذين
ولساني يتسربلُ
بالصمت المطبق
الصمت المطبق
أهوي..
فأرى جدرانَ المرآةِ
تُحاصرُني
وأحاصرُ من كلِّ جهاتِ الأرضِ
فأصرخُ..
- سن..
يو..
رينا

«سنيورينا» كانت نائمةً
«سنيورينا» كانت تحلمُ بالأقمارِ
تسوقُ الشمسَ
إلى حجرتِها.

موسم الكآبة

لا تكتئبْ..
إن ضاعتِ الجنَّةُ من يديك
لا تكتئبْ..
إن مات طيفٌ أخضر
أشرق في عينيك
لا تكتئبْ..
إن رحلتْ
مَنْ أقسمتْ
بأنّها..
حمامةٌ
وحضنُك الدافئُ
غصنُ الأيك
لا تكتئبْ..
فالدهرُ يومٌ لكَ يا حبيبي
وألفُ يومٍ
أسود
عليك

صباحُ الحُبّ

لرنينِ الهاتفِ
في التاسعةِ صباحًا
زقزقةُ عصافيرٍ زرقٍ
تنقرُ شبّاكَ القلبِ
وهمسُ جناحِ فراشة
لرنينِ الهاتفِ..
صوتُ رنينِ الروحِ
ولحنُ بشاشة
لرنينِ الهاتفِ
في التاسعةِ صباحًا
وقعٌ..
لا أسمعه
إلّا
في التاسعةِ صباحًا
.....
.....
.....

مطرٌ في الدربِ
سكونٌ لفَّ الجدرانَ
الطرقاتِ
العرباتِ
الناسَ
تأخّرتِ التاسعةُ صباحًا..
أم أنَّ الزهرةَ
فرّتْ من جدولها..
أم..؟
.....
.....
.....
- في التاسعةِ صباحًا
هل رنَّ الهاتفُ؟
-في التاسعةِ صباحًا
هل رنَّ القلبُ؟
وهل...؟
.....
في التاسعةِ وخمسِ دقائق
خمسُ دُميعاتٍ سود

خمسةُ جروحْ
.....
.....
أضحى للصمتِ الجاثمِ
فوق جهاز الهاتف
لونُ رحيلِ امرأةٍ..
وفؤادٌ مذبوحْ.

دوائر أرخميدس المفتوحة (*)

أرواحنا دوائر
أشباحنا تلوذ
في مدائن الصباح بالدوائر
أسماؤنا
في كوننا المضاء بالأفلاك
والأقمار
في عليائها، دوائرْ
وُجودُنا المرسومُ
في أكفّنا دوائر
مثلّثات الحبّ
في مربع الحرب
ومستطيل حزننا المكابر
دوائرٌ
دوائرْ

* (لا تُزعج دوائري)... كانت هذه كلمات «أرخميدس» الأخيرة للجندي الروماني قبل أن يقتله، سنة ٢١٢ ق.م، بعد أن استولت القوات الرومانية تحت قيادة «ماركوس» على مدينته «سيراقوسة» بعد حصار دام عامين.

عيوننا في ظلمة المحاجرْ
تقطر من دموعها دوائرْ
الريحُ
في هبوبها
ترسم
في أعماقنا دوائر
فما الذي
يبقى
لمن يخرج
من غيبته الكبرى
إذا حطَّمتم الرايات
والآيات
والألوان
والمنائر؟
يا أيها الجند الذين
كسّروا التيجان
والحيطان
والمعابر
وأيقظوا الغبار
والأرقام

في بال الخطوط النائمه
وجرّة الماء
التي تمتاح
من آنية الضياء
والأقواس
من بين الزاويا القائمه
يا أيها الجند الذين
جرّحوا معتزلي
وبعثروا خزائن الأسرارِ
والأوهام
والسرابِ
جئتم
-غفلةً-
على ظهورٍ
تقطر الدماء
في أزمنة الطاعون
والخرابِ
قد رفعتم الرؤوس
رايات
على أسنّة الحرابِ

حتى تكسروا ما شادت
الدوائر
من مدن
على الضفاف الحالمه
لكن على الباغين
دارت حينما جئتم
إليّ تحملون
الخاتمه
قلت لكم
ما باحت الأطيار لي
«وجدتها...»
فوق الدروب هائمه
حين أتت كتيبة الإعدامْ
بكلّ ما تحمل من ظلامْ
قالوا
وجدنا ظل شيخ هرمٍ
يجثو على الترابْ
منهمكًا
مبعثر الشعور
والوجدانْ

يقبع في دوائر النسيانْ
قلت لهم:
يا أيها الجند الذين
حطّموا النجوم
في سماء منزلي
هلا رأيتم
في زوايا دارتي
دوائر الوجود
والدماء سالت
فوق أسطح الرماد
من أظافري؟
هلّا قرأتم
صفَحات الموج
في ضفاف أنهري
ثم اغتسلتم
في بياض خاطري
لكنكم
لم تبصروا
حصار (سيراقوسة)
الأوجاع فوق دفتري

حين تفيض
من محابري

قلتُ لهم:
أجل أجل
وجدتها
لكنكم
لم تسمعوا
منذ حللتم
في الديار غير جعجعاتكم
فالخطب الجوفاء
والصراخ في المنابرِ
ورقصة السيوف
في الحتوف
في حناجر الدماء
عند الذبح
والرصاص
والخناجرِ
لم تفهموا...
....

والآن
حان الوقت
كي أدلي
على مسامع
الدماء
إذ تسيل
في ربوعنا غزيره
وصيتي الأخيره:
«لا تزعجوا دوائري»
لا تقطفوا الورود
من حدائق الوجودْ
لا تذبحوا أريجها العاطر
إن كسر الطغاة
ظهر (سيرا قوستي)
فسوف يعلو
في خطوط الطول
والعرض التي رسمت
في دوائري
قولوا لـ(مرسلوسْ)
سينجلي الكابوسْ

فيما
على طول المدى
باقية بشائري
وثَمّ كونٌ مشرقٌ
يطلع من دوائري.

من أجندة «الملك الضلّيل»

حينما
تنثر أوراقك
في الليل
على طاولة الريح
فماذا ترتجي
غير سيول الويل؟
فالأقمار
ما عادت كما كانت
ولا الشمس
التي حاكت خيوط الغيب
عادت
مرَّة أخرى
كما كانت
ولا الأنجُم
ضاءت
في السماوات اليمانيَّة

والليل غدا كهلا
و«طار النوم في صيلع»
طار الجنّ
طارت نشوة الأنخاب
طار الأمن
لكن فوق رأس الكأس
حطّ الدم
قلت:
اليوم شعرٌ
وغدا يشتدُّ
ليل الوجد
يا «ضلّيل»
ماذا ترتجي
والدرب من دونك
والذاكرة البيضاء
لا تسعف ما أنعشتَ
من أحلام؟
ماذا ترتجي؟
من قيصر الوقت النحاسيّ

وهذا الليل
قد طال على عينيك
والحقل الذي
أحنيت
ظهر البيت
من أجله
لم يزهر
وما فيه
من الأشجار
لم يثمر
وحلَّ المحل
في النبع
وجفَّ الضرع
والراعي مضى
بالغيم
نحو الضفة الأخرى
من القلب
وأنهارك جفَّ الطين
في أقدامها السمراء

والأنخاب
ما عاد بها
غير دموع الصحبِ
والوحش
الذي
في آخر الدربِ
فيا «ضلّيل»
ماذا ترتجي؟
والأرض
كلّ الأرض
في أحداق هذا الطفل
ما عادت لتكفيه وطن
ما الذي ترجو
إذن؟
علَّ ما يهفو له الرأس
ستلقاه
بأذيال الزمن
عندها
تطلع من «دمّون»
جنات عدنْ.

دروب التبَّانة (*)

بدروب طفولتهم
كانوا يمشون
إلى مدرسة العشق الأوّلْ
الوطنِ الأجمل
يمسك كلٌّ منهم
- خوف التيه -
أصابع صاحبه
وتلابيبَ المستقبلْ
ولأنَّ الدربَ طويلْ
وبلا أشجارٍ
وظلالِ نخيلْ
كانوا
يزجون الوقت

* إشارة إلى (درب التبّانة): وهي مجموعة كبيرة من النجوم سُمِّيتْ بهذا الاسم بسبب شكلها الذي يُشبه خطًّا من الحليب مُشكّلاً من الضوء عندما يتم رؤيتها من منطقة مظلمة.

يُغنّون
معا:
(همّه ثلاثه للمدارس يروحون
همّه ثلاثة للمدارس يروحون) (*)
يسيرون
على طين الدربْ
كما سوّاه الربْ
بآخر أيام الخلق
وكي لا يوجع أيديهم
بعصاه
كانوا ينتعلونَ
حروفَ مداساتٍ
تُخفي أسرارَ
جوارب مثقوبهْ
يمشون
ويتّكئون
على أطرافِ ظلالٍ

* في النص إحالة، وتناص مع أغنية المطربة «مائدة نزهت»: (همّه ثلاثة للمدارس) التي غنتها في ١٩٧٠، وهي من كلمات ذياب كزار «أبو سرحان» ألحان كوكب حمزة.

معطوبهْ
ويجرّون
بأقدامِ طيورِ الماءِ
حكايا أنهارٍ
علقتْ
بترابِ الأرجلِ
يتباهونَ بقمصان
باهتة الألوان
حقائب
من خوصِ النخلِ
دفاتر سمراء
بلونِ جلودهمُ
أقلامِ رصاصٍ
بمماحيها معصوبهْ
يبتسمونَ
لشمسٍ دافئةٍ
تشربُ أنخابَ مدى
مدّ لهم
إذ يمشونَ إليه دروبَهْ
ويغنّون:

«همّه ثلاثه للمدارس يروحون
همّه ثلاثة للمدارس يروحون»
وحينَ يذوبون
مع الكلماتِ
ويُصبحُ للخطواتِ
وجيبْ
يحثّونَ السيرَ
إلى السبّورةِ
والصفِّ
وطابورِ الصبحِ
على أضلاع طريقٍ
مهما طال
عن الأحلام
يظلُّ قريب
«همّه ثلاثة للمدارس يروحون
بيهم حبيب الروح
بيهم حبيب الروح»
كثيرا ما يتّفقون
وفي أمرٍ
يختلفون

فكلّ منهم
في سرّ مفضوحْ
يتساءل:
- مَنْ منّا
كان «حبيبَ الروحْ»
لـ «مائدة» الحلوةِ
بنت الجار السابع؟
مَنْ منّا
حلَّقَ ما بينَ الأفلاكْ
وسدَّدَ سهمًا
فأصابَ القمرَ
المتخفّيَ
خلفَ الشبّاكْ؟
«ياداده مثل الماي
بروحي نبع»

بعد سنينٍ
نزلتْ أمطارُ الليلِ
هوتْ أعمدةُ سقوفِ
صفوفِ الطينِ
المائعْ

جرجَرها الطوفانُ
مع السبّوراتِ
ونشراتِ الحائطِ
للشارعْ
فتفرّقتِ النجماتُ
بدربِ التبّانة
تفرّقَ كلٌّ منهم:
ولأنّ الأوّل
غنّى
في الليلِ الأليل:
«همّه ثلاثة للمذابح يروحون»
قطعوا...
تحتَ ستارِ الليلِ الدامي
صوتَ عذوبتِهِ
بالمنجلْ
«ياداده مثل الماي
بروحي نبع»
الثاني أخذتْه الحرب
إلى عرشِ الرب
«هم ثلاثه للمعارك يروحون»

وبلا كفنٍ
عانق ضوءُ البهجة نعشه
ذَبَلتْ أجنحةُ طيورِ الماءِ
وجفَّ الماءُ
وظلَّ الطينُ وحيدًا
فتهاوى
من زهرةِ عرشِهْ
«ياداده افرحي وياي
اشنفرح بعد
حظ وكعد
يا مسعده؟
اشنفرح بعد
يا مائده»؟
الثالثُ
تحت جناحِ
الليلِ المبلولْ
فرّ
بلا بوصلةٍ
نحوَ المجهولْ
«هم ثلاثة للمنافي يروحون»

فراحوا..
بعد سنينٍ أخرى
مرّتْحقبٌ
وفجائعْ
غابَ «أبو سرحان»
هوى نجمٌ لامعْ
بغيابة ذئبٍ جائعْ
واعتزلتْ مطربةُ الحيّ الحبّ
وأسدلتِ البنتُ ستارةَ
شبّاك الجارِ السابعْ
شاخَ الـ«كوكبْ»
مثلُ الماء
وظلّ الصوت
يدورُ
بقرصِ «غرامافون»
وينحبْ
«همّه ثلاثة للمقابر
يروحون
همّه ثلاثة للمقابر...».

كـولاج

حين تبدَّل وجه
العالم
في منتصف العمر
أفقتَ
وجدتَ الروح
حصاة
مُلقاةً
فوق رصيف الجمر
على الكثبان
فرحتَ
تلمّلم
مايسَّاقط
من تمرات
يابسةِ الأبدان
تشرب ماء الله
وفي الليل
يغطيك النجم

ويحميك
من الظلمات
وأنياب الجرذان
ومرَّ زمان
فإذا بحبال نجاة
مُدّت نحوك
كي توصلَ مركبَك
إلى برِّ أمان
لكنّ
خناجر باشطةً
دارتْ حولك
ملأتْ كلّ مكان
هجمتْ
لتقصَّ الوجه المحفور
لتزرع آخر منحوتا
بأصابع فنان
قالت:
انظر
فالأرض قد اهتزت
وربت

وغدت
جنَّاتٍ
و سراجًا وهَّاج
فلتبتسم
الآن...
تحسّستَ قناعَك
حدَّقتَ بسقف المرآة
رأيتَ الرمحَ المرفوعَ
بصفحتهِ المطويَّةِ
جرحًا خرِبا
دون رتاجْ
كانت ذاكرة الرأس الحاسر
تبحث
عن ألواح
سفائن غرقى
وسط الأمواج
فادركتَ
بأنّ العالمَ من حولك
لوحة (كولاج)
السقفُ على رأسك كولاج

القلبُ النابض
بين فؤادك ليس
سوى كولاج
المُدن بما فيها
من أسواق
وعمارات
سوحٍ
أبراج
كولاج
النغمةُ في حنجرة مغنية الليل
ومافيها من أوداج
كولاج
الشفةُ السفلى
والصدر المنفوخ
الدور
دكاكين الباعة
كولاج
الثمر الحلو
بمزرعة الضوء
وما يتخفى

تحت
ظلال الأفلاج
كولاج
نياشين الفتح
المرصوفة
في صدر المتغطرس
في يده اليمنى
كرباج
يجلد فوج نعاج
الأوطان المرسومة
في الأطلس
كولاج
فعلمت
بأن حياتك
ماكانت إلّا
لوحة كولاجْ
تنخرها
الديدان
بليل داجْ.

بماذا يعود الغريب؟

من وراء النهار
من الغيب
من شرفة المنتهى
وأعالي القفار

بماذا يعود الغريب إذا عاد من ليله السرمديِ؟
بمقبرةٍ في الضمير؟
بتذكرةٍ للعبور
إلى الآخرة؟
بأُفق صغير يعلقه
قُرب دمعة جدته
في جدار الخرافات؟
بماذا يعود؟
(بشيءٍ من الخوف والجوع ونقص من الثمرات)؟
بحلم كثير القروح؟
بجرح فسيح؟
بقبض غبار
وريح؟

بماذا يعود الغريب لأوروك؟
بكسرة موت؟
وقد ضاع ما ضاع في الدرب
من زهرة للمكوث
بماذا يعود؟
بمكر التراب؟
بِسرٍّ؟
ببيت من الشعر
بحزن الوجود؟
بدرع من الضوء
عند ضجيج مرايا السراب؟
بطيف عتيق
يبل الفؤاد؟
بنهر دموع يضاف لما في البلاد؟
بماذا يعود الغريب؟
بحشرجة ونحيب؟
بليلكة لاتنام
إذا نام في الطرقات الصهيل؟
بليل شديد السواد طويل؟
بماذا؟

بجثته بعد حين؟
بماذا يعود؟
بجرح «حُسين» جديد؟

لعبـة

مَلك؟
أم أنك تختار
(كتابه)؟
فالغيب ابتدأ اللعب
وفتَّح في وجهك أبوابه
ملك؟
أم أنك تختار
(كتابه)؟
فإذا فضَّلت الـملِك
فرأسك
في الحال
سيختال
بتاجٍ
يحكم غابه
فيها أشجار
أقمار
ألوان رائعة جذابة

فيها أُسد
وضباعٌ
ونباح كلاب
رصاص
جلّادون
عواء ذئاب
وطيور سماء مرتابه
ملك؟
أم تختار (كتابه)؟
اصغ لمنطوق سؤال الغيب
وهاتِ جوابه
فإذا اخترت الثاني
ستعيش غريبًا
في البريه
من غير امرأة
أو ذُريّة
تسكن بيتًا
من دون سقوف
أو جدران
ينضح أحزانًا وكآبه

لكنك
حين يغط العالم
في غيبوبته
ستحلق
فوق جناح حابه
فاخترما شئت
من الاثنين
فلا يوجد ما بين
ملكًا سيؤول خرابه؟
أم عرش (كتابه)؟

لَـظـى

نارٌ تسعّرُ في الضلوعِ وخلفيَ
النيرانُ تأكلُ في الظلامِ وتشربُ

وتسدِّد الطعناتِ للظهرِ الذي
لم تحنهِ سنواتُ عمرٍ خلّبُ

بينَ الجوانحِ كربلاءُ تلتظي
ومن الشدائدِ فيّ تنحبُ (زينبُ)

كم من طفوفٍ، في محرّمِ حزننا
راحتْ من الدمع المعفّر تحلبُ

أمشي على جمرِ الندامةِ حافيا
وأكيلُ من حبرِ الفراتِ وأكتبُ

النارُ خلفي، والحريقُ بمهجتي
ومن الليالي بي تدثّرَ غيهبُ

وأمامي الأيّامُ أشجارٌ ستغدو
للظى حطبا، فأين المهربُ؟

ننامُ ويحرسُنا ليلُ أمس

على السريرِ
بقايا أرقٍ كثيفٍ
يفيضُ
على السريرِ المجاورِ
للغيم.

•••

الليلُ معارك مع الأشباح
النهارُ نزالات
مع ظلالها في الأرض.

•••

في قبضةِ الذبول
اضلاعُ الزهرةِ الّتي
كانت تفتحُ أزرارَ صدرِها
للنسيمِ أمس.

•••

الليلُ جرحٌ
النهارُ ضماد.

•••

من الذقنِ
يبدأ خيطُ دمٍ مشرّد
وفي لبّ القلبِ
يثوي
ولن ينهضَ
حتّى قيام عقرب الساعة.

•••

الليلُ كوابيس
النهارُ أطياف.

•••

من حلمٍ ليليٍّ عابرٍ
نالتْ أحلامُ يقظتي
كدمةً
ظلّتْ تؤلمُني
طوالَ النهارِ التالي.

•••

الليلُ كلماتٌ
النهارُ قلم.

•••

لم يكن لليل أحد
وليس لهُ شريكٌ
ولم تكن له صاحبةٌ
ولا ولد
لذا تدثّر بالظلام.

•••

الليلُ اسمٌ
النهارُ فعلٌ.

•••

في الذاكرةِ
بقعةُ عطرِ رقبة
يسيحُ حتّى
يغطّي الكواكبَ
ويُزكمُ
أنفَ الكون.

•••

الليلُ شاعرٌ
يسردُ حكاياتِ
الفِ نهارٍ ونهار.

•••

البقرةُ التي تمضغُ
طعامَها نهارا
بشهيّة
هل تعلمُ أنّها
ستكونُ لقمةً
بفمِ الليل؟

•••

آناءُ الليل
تحتضن نهارا غائبا.

•••

أطراف الليلِ
أطيافُ النهار.

•••

في المزاجِ طعنةٌ عميقةٌ
عليها توقيعُ
حفيد «بروتس»
السادس عشر!

•••

الليلُ محطّةٌ
النهارُ قطار.

•••

في الطعنةِ أرصفةٌ
ونهاراتٌ قابلة للكسر.

•••

الليلُ سكنٌ
النهارُ رصيفٌ.

•••

البعيرُ الذي يجترُّ أيّامه
في الليلِ
اين سيولّي وجهَه
في صحراءِ النهار؟

•••

أرباحُ الليلِ
خسائرُ
في النهار.

•••

في قلبِ هذا الليلِ الطويل
ومهجتِه
ننامُ
ويحرسُنا
ليلُ أمس.

شـبَـح

لستُ غائبا
غير أنّني..
غير موجود
داخل الإطار
ولا خارجه.
•••
لم أتدافع بالمناكب
لحضور حفلة الحياة
ولم أتخلّف
لحظة...
عن تلبية الدعوة
ولم أنصرفْ عنّي
لسواي
بل اكتفيتُ
بمراقبةِ المشهدِ
من وراء الكواليس.
•••

لم أكن الأوّل في السباق
ولم أكن الأخير
ولم أشترك به
فيما ظلّت علامتي شاغرة
حتى الصافرة الأخيرة.

•••

تسكنني الجهات
مثلما أسكنها
لكن لاجهة لي
مثل ربّ صغير
قُدّ من تمر..
وكلمات.

•••

رسموا صورتي بالزبد
وعلقوها
على الجدار المقابل
للأبد.

•••

رموني
في بحر بلا شطآن

ومضوا..
وحين عادوا
في موسم حصادي
لم يجدوا أثرا لي
ولا للبحر
ولا للنسيان.

•••

في فم الساحل
بقايا
محيط ذابل
وحيتان عظميّة
وسفن غارقة
ووصايا...
وأسنان اصطناعية
وصورة مبللة
لمكان
كان
دون أن أكُن.

•••

لاتُغلق الباب
خلفك
فربما أضعت الأمام
حين تهمّ بالمغادرة
عندها..
إلى أين تولّي تيهك؟

•••

لست غائبًا تمامًا
ولم أكُن كامل الحضور
كما ينبغي
ولم ألتقط صورة تذكارية
لمعنى يتوارى
تحت عباءة
شبح
لا علاقة له بهاملت
ولاتراجيديات
مسرح الحياة.

عبد الرزَّاق الربيعي

- شاعر، وكاتب مسرحي، وإعلامي.
- المستشار الثقافي لمؤسسة «أثير» الإعلامية. مسقط.
- يحمل درجة الدكتوراه الفخريّة من جامعة الشمال الأمريكي للدراسات العُليا (جامعة الصفا)، ٢٠٢٢.
- نائب رئيس مجلس إدارة النادي الثقافي في سلطنة عُمان (٢٠٢٠- ٢٠٢٣).
- عمل في الصحافة الثقافية والفنية في بغداد وعمَّان وصنعاء ومسقط، منذ الثمانينات، وحتى الآن.
- عمل مراسلاً لعدد من المجلات الثقافية الخليجية، كالصدى ودبي الثقافية والإتحاد والشارقة الثقافية والفينيق.
- عمل باحثًا ثقافيًا في مركز البحوث والدراسات بوزارة الإعلام العُمانيَّة (٢٠١٢- ٢٠٢١).
- عضو نقابة الصحفيين العراقيين (١٩٨١)
- عضو نقابة الصحفيين العرب (١٩٨٢)
- عضو اتحاد الأدباء العراقيين (١٩٨٦)
- عضو اتحاد الأدباء العرب (١٩٩٤)
- عضو الجمعية العُمانية للكُتَّاب والأدباء
- عضو الجمعية العُمانية للصحفيين
- عضو الجمعية العُمانية للمسرح

- تقلّد عدة مسؤولية عدة مواقع من بينها:
- رئيس القسم الفني والمنوعات جريدة الجمهورية بغداد ١٩٩٢
- رئيس نادي الطفولة ببغداد ١٩٩٣
- رئيس القسم الفني والثقافي بجريدة الشبيبة ٢٠٠٦ - ٢٠١٢
- مدير تحرير صحيفة «أثير» الإلكترونية، ٢٠١٣
- رئيس تحرير «أثير» الإلكترونية، ٢٠١٦

• صدرت له الدواوين والكتب التالية:

– وطنٍ جميل (للأطفال): بغداد، ١٩٨٦
– إلحاقًا بالموت السابق: بغداد، ١٩٨٧
– نجمة الليالي (للأطفال): بغداد، ١٩٨٨
– حِدادًا على ما تبقى: بغداد، ١٩٩٢
– موجز الأخطاء: جنيف، ١٩٩٩
– جنائز معلقة: مسقط، ٢٠٠٠
– شمال مدار السرطان: مدريد، ٢٠٠١
– غدًا تخرج الحرب للنزهة: صنعاء، ٢٠٠٤
– الصعاليك يصطادون النجوم (مسرحيات): القاهرة، ٢٠٠٤
– كواكب المجموعة الشخصية: القاهرة، ٢٠٠٤
– خُذ الحكمة من سيدوري: طبعة ١: منشورات بابل، ٢٠٠٦
ط٢: مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠١٠
– مدن تئن وذكريات تغرق / وقائع إعصار «جونو»: بيروت، ٢٠٠٨
– ما وراء النص: كتابات نقدية. مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠٠٩
– خيمة فوق جبل شمس: مؤسسة الدوسري، المنامة، ٢٠١٠
– أبنية من فيروز الكلمات / طواف على أجنحة سعيد الصقلاوي: مؤسسة الدوسري، ٢٠١٠
– ما يزال الكلام للدوسري / بوح الحوارات: ٢٠٠٤
– قميص مترع بالغيوم: مركز الحضارة، القاهرة، ٢٠١٠
– ١٤ ساعة في مطار بغداد: مركز الحضارة، القاهرة، ٢٠١٠
– يوميات الحنين: إصدارات النادي الثقافي العُماني، مسقط، ٢٠١١
– راهب القصيدة / عبد العزيز المقالح: مؤسسة الدوسري، ٢٠١١
– تحولات الخطاب النصي: دار الرافد، دمشق، ٢٠١١
– عدنان الصائغ / عابرًا نيران الحروب إلى صقيع المنافي: مؤسسة الدوسري، ٢٠١١
– يوميات الحنين: إصدارات النادي الثقافي العُماني، مسقط، ٢٠١٢
– خُطى وأمكنة / من أدب الرحلات: بيت الغشام، مسقط، ٢٠١٣
– على سطحنا طائر غريب: نصوص مسرحيَّة. بيت الغشام، مسقط، ٢٠١٣

- غرب المتوسط وقوافل أخرى: رحلات. دار كنوز المعرفة، عمَّان، ٢٠١٤
- صعودًا إلى صبر أيوب: شعر. دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٤
- طيور سبايكر: شعر. بغداد، ٢٠١٤
- في الثناء على ضحكتها: شعر. بيت الغشَّام، مسقط، ٢٠١٥
- خرائط مملكة العين: إصدارات دبي الثقافية، ٢٠١٥
- قليلاً من كثير عزّة: شعر. بيت الغشّام، مسقط، ٢٠١٦
- ليل الأرمل: كتاب مجلة نزوى، مسقط، ٢٠١٧
- حلاق الأشجار: شعر. بيت الغشَّام، مسقط، ٢٠١٧
- دهشة ثلاثية الأبعاد: شعر. بيت الغشَّام، مسقط، ٢٠١٨
- حكايات تحت أشجار القرم: مقالات. الآن ناشرون، عَمَّان، ٢٠١٨
- خطوط المكان... دوائر الذاكرة: دار مسعى، المنامة، ٢٠١٩
- الأعمال الشعرية: جُمعتْ في ثلاث مجلّدات، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، ٢٠١٩ ط١ و ٢٠٢١ ط٢ بالتعاون مع دار سطور بغداد
- نهارات بلا تجاعيد: شعر. الآن ناشرون، عَمَّان، ٢٠٢٠
- شياطين طفل الستين: دار نثر- الجمعية العمانية للكتّاب والأدباء، مسقط، ٢٠٢١
- عبد الكريم برشيد / الحكواتي الأخير: المكتبة العربية، القاهرة، ٢٠٢١
- الحائكات بروق الحرف: إعداد. إصدارات النادي الثقافي - الآن ناشرون، عَمَّان، ٢٠٢٢
- كتاب مفتوح: حوارات ثقافية رقميّة (بالاشتراك مع الشاعر وسام العاني). الآن ناشرون، عَمَّان، ٢٠٢٢
- أرواح ثكلى في كوكب مريض / مقاطع عرضية من ذاكرة الوباء: الآن ناشرون وموزعون، عَمَّان، ٢٠٢٢ - لجمعية العُمانية للكتّاب والأدباء
- نقوش سومريّة على باب اليمن- عناوين / القاهرة ٢٠٢٢م
- ننام ويحرسنا ليل أمس: دار الرافدين - إصدارات الجمعية العمانية للكتّاب والأدباء، ٢٠٢٢
- طيور على بحيرة دم: نصوص مسرحية، إصدار: الهيئة العربية للمسرح، بالتعاون مع دار لبان للنشر، ٢٠٢٣
- وطن السماء زرقتها: شعر. دار خطوط وظلال، عمَّان، ٢٠٢٣
- ضِحْكٌ على الأطلال: شعر. الآن ناشرون وموزّعون، عمَّان، ٢٠٢٤

– ذاكرة المكان وسردياته / قراءات في (حارة العور) لغالية آل سعيد: إعداد وتحرير. ٢٠٢٤

• صدر عن تجربته الإبداعية العديد من الكُتب، منها:
– مزامير السومري / قراءات في المنجز الشعري والمسرحي للشاعر عبد الرزّاق الربيعي: رشا فاضل. مؤسسة شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠١٠
– القصيدة المركّزة في شعر عبد الرزاق الربيعي: طلال زينل. دار الحوار، دمشق، ٢٠١٢
– عشبة جلجامش / جماليات الإيقاع في شعر عبد الرزَّاق الربيعي: ناصر أبوعون. كنوز المعرفة، عمَّان، ٢٠١٣
– بلاغة القصيدة الحديثة / قراءات في شعريّة عبد الرزَّاق الربيعي: د. علي صليبي المرسومي. دار الحوار، دمشق، ٢٠١٥
– القصيدة بين مرجعية الذات وحداثة المحتمل النصي / قراءة في عوالم شعرية عبد الرزَّاق الربيعي: حيدر عبد الرضا. دار الجواهري، بغداد، ٢٠١٧
– تمثّلات الفقد في شعر عبد الرزَّاق الربيعي: محمود السامرائي، ٢٠٢٢
– شعرية المكان العُماني في تجربة عبد الرزَّاق الربيعي: د. محمد صابر عبيد. وزارة الثقافة والرياضة والشباب، ٢٠٢٣

• تُرجِمت مسرحيته «على سطحنا طائر غريب» إلى اللغة الإنجليزية، وصدرت في كتاب طُبع بلندن، ٢٠١٨
• قدّمت له العديد من النصوص على خشبات المسارح العمانية، والعربية وشارك بعضها في مهرجانات دولية

• صدر عن منجزه الإبداعي العديد من الدراسات الأكاديمية، منها:

–القصيدة المركّزة في شعر عبد الرزاق الربيعي: رسالة أكاديمية تقدَّم بها الباحث «طلال زينل» لنيل درجة الماجستير في النقد الحديث من جامعة الموصل ٢٠١١. إشراف: د. محمد صابر عبيد.
– تمثّلات الفقد في شعر عبد الرزَّاق الربيعي: محمود يونس السامرائي. جامعة سامراء. إشراف: د.دلال هاشم الكناني.

– العتبات النصية في شعر عبد الرزَّاق الربيعي: رسالة ماجستير للباحث ميثاق الهلالي، جامعة ذي قار، ٢٠١٢
– شعر عبد الرزَّاق الربيعي / دراسة في الأداء الشعري: رسالة دكتوراه للباحث «منتدى مانع دايخ الحمداوي»، ٢٠١٢
– الرثاء الاسترجاعي / جماليات اللحظة الهاربة في شعر عبد الرزَّاق الربيعي: بحث ترقية للدكتور «جاسم العجّه:، جامعة الموصل.
– البناء الدرامي في شعر عبد الرزاق الربيعي: هند جاسم يوسف، رسالة ماجستير، إشراف د.جاسم العجة، جامعة الموصل.
– الأنساق الثقافية في شعر عبد الرزاق الربيعي، عمر علي، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د أحمد جارالله ياسين، جامعة الموصل.
– التشكيل البصري في شعر عبد الرزَّاق الربيعي: صادق حسن، رسالة دكتوراه، الأهواز.
– شعرية الصورة لدى عبد الرزَّاق الربيعي: أحمد البكري، رسالة ماجستير، جامعة نزوى، سلطنة عُمان.
– المسرح الشعري في تجارب (عبد الله الخليلي، عبد الرزَّاق الربيعي، د.صالح الفهدي): سعيد الوهيبي، رسالة ماجستير، جامعة نزوى، سلطنة عُمان.

• الجوائز:

– جائزة قصيدة الطفل وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٤
– فاز ديوانه «قليلاً من كثير عزة» بجائزة أفضل إصدار عُماني، ٢٠١٦
– فازت مسرحيته «كاسك ياسقراط» بالجائزة الذهبية كأفضل عرض متكامل في فعاليات الأيام الوطنية الثالثة الجزائرية ٢٠١٧
– فازت «بنت الصياد» بجائزة أفضل نص بالمهرجان الدولي لمسرح الطفل في الناظور المغربية ٢٠١٩
– جائزة أفضل كلمات عن عرض «حلاق الأشجار» لفرقة الوطن القطرية – الموسم المسرحي القطري ٢٠١٩

البريد الإلكتروني: razaq2005@hotmail.com

فهرس القصائد

- المشهد الأخير ٢٩
- على حائط يوليس قيصر ٣٤
- جَمل الثلج ٣٧
- ابتهالات ٤٠
- صكوك السامري ٤٧
- ليلة سنة القرد ٥١
- تباريح ليل الوحيد ٥٣
- هزيع أخير ٥٨
- طائران في خلوة ٦٠
- حمائم ٦٢
- رحلة ٦٤
- بجعة ٦٦
- طائر ٦٧
- هي ٦٩
- صفحة ضائعة من قاموس الموتى ٧٠
- هاوية ٧٣

- مفترق ٧٧
- إغماءة ٧٨
- تجاعيد ٧٩
- قمر يتدحرج آخر السنة ٨٠
- جهات ٨٥
- زلة عدم ٨٧
- بورتريه صباحي للبحر ٩٠
- صقيع دامس ٩٤
- في سماء المقبرة ٩٧
- أحلام متلاطمة ٩٨
- مشكاة ٩٩
- أحفاد قابيل ١٠١
- رأس بارد على الطريق ١٠٣
- جثة مجهولة ١١٠
- رماد هُبل ١١٢
- عصافير عاشقة ١١٥
- قميص مُترع بالغيوم ١١٨
- زنزانة ١٢١
- أعراس ١٢٤
- طلل الريح ١٢٦

- مـدارات ١٣٠
- جـنـة ١٣٤
- طيـران ١٣٦
- ضحكات مستطيلة ١٣٧
- خيـوط ١٣٩
- انتظـار ١٤٠
- تـراب ١٤١
- وجبـة ١٤٣
- لؤلؤة اسمها الأبدية ١٤٤
- إشارات بركانية، على طريق المقبرة ١٤٨
- عـطـل ١٥٢
- ضيـق ١٥٤
- غدًا تخرج الحرب للنزهة ١٥٥
- التمثـال ١٦١
- أضحيـة ١٦٦
- ملهاة عراقية ١٧٠
- شؤون عائلية ١٧٥
- الجسـر ١٧٧
- وكـر ١٨٠
- قال النجم ١٨٣

- القطار السريع ١٨٤
- صعود يحيى ١٨٦
- ماركة مسجلة ١٩٢
- مقتطف من طوق الهدهد ١٩٤
- رنين ١٩٧
- من يقول لصاحبه ١٩٨
- نشيدُ الراحلين ٢٠٠
- جولة في عيون سنيورينا ٢٠٥
- مواسم الكآبة ٢٠٩
- صباح الحُب ٢١١
- دوائر أرخميدس المفتوحة ٢١٣
- من أجندة «الملك الضلّيل» ٢٢١
- دروب التبّانة ٢٢٥
- كولاج ٢٣٣
- بماذا يعود الغريب ٢٣٦
- لعبة ٢٤١
- لَظى ٢٤٤
- ننامُ ويحرسُنا ليلُ أمس ٢٤٥
- شبح ٢٥٠

شمس
للنشر والإعلام

شمس للنشر والإعلام

ت فاكس: ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net